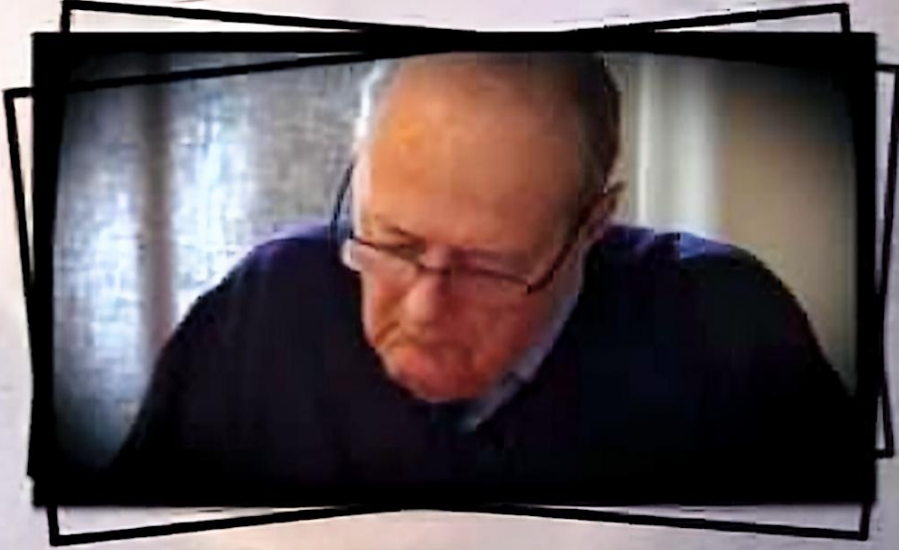


أندريه ميكيل

André Miquel

أشعار مُتَّجَاوِبَةٌ

Poèmes réciproques



منشورات الجمل

شعر

أندريه ميكيل

أشعار مُتَّجَاوِبَةٌ



أندريه ميكيل: أشعار مُتجاوِبة

أندريه ميكيل
André Miquel

أشعار مُتَّجَاوِبَةٌ
Poèmes réciproques

منشورات الجمل

ولد أندريه ميكيل في بلدة ميز Meze الفرنسية الواقعة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، في السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٢٩. بعد نيّله في ١٩٥٣ شهادة التّبريز في نحو الفرنسيّة واللاتينيّة واليونانيّة القديمة، درّس اللّغة العربيّة في جامعة السّوربون وأمضى عدّة سنوات في سورية وأثيوبيا ومصر، ثمّ شرع بتعليم العربيّة وآدابها في عدّة جامعات فرنسيّة، ثمّ انتُخب أستاذاً في المعهد المرموق «كوليج دوفرانس»، في كرسيّ الأدب العربيّ القديم (١٩٧٦-١٩٩٧). له عشرات المؤلّفات في الحضارة الإسلاميّة والأدب العربيّ القديم، وترجم إلى الفرنسيّة العديد من أمّهات الأدب العربيّ، منها كتاب «كليّة ودمنة»، ترجمه في مقتبل شبابه، وحكايات «ألف ليلة وليلة»، وضع لها ترجمة جديدة كاملة بالاشتراك مع جمال الدين بن شيخ، ومنتخبات من عدّة شعراء عرب. وهو نفسه روائيّ وشاعر.

أندريه ميكيل: أشعار مُتجاوِبة، الطبعة الأولى
صورة الغلاف: أندريه ميكيل، لقطة من الفيلم الوثائقي
«كرسيّ العالم العربيّ بباريس يكرّم أندريه ميكيل» (٢٠١٨)،
إخراج لويزا ناظور
كافة حقوق النشر والاقتباس
محفوظة لمنشورات الجمل، بيروت - بغداد ٢٠٢٠
تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٣٥٣٣٠٤
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ - بيروت - لبنان

© Al-Kamel Verlag 2020
Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

إشارة

يجمع هذا الكتاب ثلاث مجموعات شعرية لأندرية ميكيل صدرت بالعربية والفرنسية تحت العناوين وعن دور النشر الفرنسية التالية:

- *Au mercure des nuits* في زئبق الليالي, Paris, Sindbad, 1989.
- *L'enfant et la promesse* الطفل والوعد, Saint-Clément de Rivière, Fata Morgana, 1999.
- *Wadâ, pour un adieu* وداع, Pézenas, Domens, 2008.

أمّا المجموعة الرابعة «إلى أين؟» *Vers où ?* فتُنشر هنا للمرة الأولى.

تقديم

على امتداد تجربة فكرية وأدبية تتواصل منذ ما يربو على ستين عاماً، أعرب العلامة والكاتب الفرنسي أندريه ميكيل André Miquel عن شغف باللّغة العربية وآدابها والحضارة المحتضنة لها ندر أن لوحظ لدى مستعرب سواه بالدرجة ذاتها من الاضطراب وبالقدر ذاته من غزارة الإنتاج.

في المجال الأكاديمي والعلمي، عُرف ميكيل بإسهاماته في إعادة اكتشاف الأدب العربي ومعالجته تحليلاً وترجمة. أدب يشمل لديه أولاً فنّ الحكاية عند العرب ممثلاً في كتاب «كليلة ودمنة» وحكايات «ألف ليلة وليلة» على نحوٍ خاصّ، وضع لأولهما فورَ انتهائه من دراسة العربية ترجمة فرضت نفسها حتى اليوم، أمّا «اللّياالي» فوضع لها منذ سنوات ترجمة جديدة كاملة بالاشتراك مع جمال الدين بن شيخ. كما عُني عناية خاصّة بالجغرافية البشريّة وصورة الأرض ووصف البلدان عند العرب، أي بأهمّ ما كتبه الجغرافيون والرحالة العرب عن العالم، خصّه بسفر حمل العنوان الجامع: «الجغرافية البشريّة في العالم الإسلاميّ حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلاديّ»، وغطى

أربعة أجزاء ضخمة اشتغل عليها طيلة عقدين من السنين وتواصل نشرها بين ١٩٦٧ و١٩٨٨ .

كما أحاط ميكيل الشعر العربي القديم باهتمام واسع ومضطرد، فترجم العديد من نماذجه الكبرى في منتخبات جماعية غطت كتابين: «من صحراء جزيرة العرب إلى حدائق الأندلس» (١٩٩٢) و«العرب والعشق» (بالتعاون مع حمدان حجاجي؛ ١٩٩٩)، وإليهما أضاف منتخبات فردية في عدة كتب شملت قصائد مختارة لأبي العتاهية وابن زيدون وأبي فراس الحمداني وابن خفاجة الأندلسي، فضلاً عن ترجمته منتخبات من أشعار بدر شاكر السيّاب، وهو الشّاعر العربي الحديث الوحيد الذي خصّه المستعرب الفرنسي بكتاب. وضمن هذه الكوكبة الشعرية أعرب ميكيل عن انجذاب خاص إلى تجربة العشق والشعر عند قيس بن الملوّح، هذا الوجه التاريخي الذي تلقفته الأسطورة فصارت سيرته مزيجاً من الواقع والخيال. نشر في العام ١٩٨٤ ثلاثة كتب عنه: في الأوّل ترجم منتخبات من الأشعار المنسوبة له («الحبّ القصيدة»، ١٩٨٤)، أعقبها بعد سنواتٍ بترجمة كاملة لها (٢٠٠٢)؛ ووضع فيه، بالتعاون مع بيرسي كيمب، دراسة بعنوان «المجنون وليلى، الحبّ المجنون»، واستلهم سيرته في رواية سمّاها «ليلي يا عقلي»، ثمّ عمل لاحقاً على مقارنة عشقه لليلي بقصّة عشق «تريستان وإيزولت» (أو تريستان وإيزوت كما شاع اسماهما في العربية) في كتاب حمل عنوان «قصّتا عشق، من المجنون إلى تريستان» (١٩٩٦). وهذا الشغف نفسه قاده إلى أن يترجم عن الألمانية نصّ أوبرا ريتشارد فاغنر عن هذين

العاشقين، وإلى أن يصوغ في أبياتٍ رواية فرنسية في عشقهما، معتمداً صيغةً حديثة لها كان كبير المختصين بالأدب الفرنسي القروسطي جوزيف بيديه قد وضعها ونشرها في ١٩٠٠.

هذه هي المحاور الأساسية لعمل ميكيل، كلٌّ منها يشكّل قارة ذهنية وإبداعية بحدّ ذاته. والكلّ عالجه بتعمّقٍ وأناةٍ على امتداد سبعين كتاباً، وفي عشرات النصوص المنشورة في مؤلّفات جماعية ومجلّات علمية. وإلى هذا، هو نفسه كاتب رفيع، صدرت له عدّة روايات ومجموعات قصصية، نشرتها كبريات دور النشر الفرنسية وتُرجم أغلبها إلى لغات عديدة، منها «وجبة المساء» (١٩٦٦)، رواية، صدرت في العربية مؤخراً بترجمة لرشا صالح)، و«الابن الرّاحل قبل أوانه» (١٩٧١) و«اللا متحقّق» (١٩٨٩)، و«ليلي يا عقلي» (١٩٨٤) التي يعيد فيها بلغة الرواية ابتكار سيرة مجنون ليلي، هذا الشاعر العاشق الهائم الذي أحلّ ميكيل، كما أسلفنا، أخباره وما نُسب إليه من أشعار في قلب عمله وخصّها بأكثر من كتاب.

لَمّا كان للشّعر كلّ هذه المكانة في عمل ميكيل، هو الذي رفض دوماً أن يدعّ مشاغله العلمية مؤرخاً للإسلام ومحللاً لأرفع آثار الأدب العربيّ ومترجماً لها أن تطمس فيه نبض الإبداع الأدبيّ، كان من الطبيعيّ أن يستأثر الشّعر ببعض كتاباته الشخصية. لكنّ ما يثير الدهشة والإعجاب هو كونه حرص على أن تأتي أشعاره مصوغة بلغة الناطقين بالضادّ، هذه اللّغة التي نذر كما رأينا حياته لإيصال أهمّ أصواتها ودراستها.

إنّ أوّل ما يستوقف المرء في المجموعات الشعرية الأربعة

المتضمّنة في هذا الديوان هو، بالفعل، هذا الشغف، لا بل الانخراط الدائم بلغة عشقها المؤلف في مطلع دراساته الجامعية وولع بالاشتغال عليها باحثاً وعلامة ومترجماً وأستاذاً، وها هو يذهب في التحامه بها إلى حدّ اعتمادها في مجموعات شعرية أربع، دون أن يخفي على نفسه جسامة المغامرة، وهو ما يصرّح به في تقديمه الوجيز لمجموعته «الطفل والوعد» الماثلة في هذا الديوان. إنّ مثل هذا الشغف الفعّال وما يدعمه من انهماك متواصل ليدفعان إلى التساؤل عن سرّ هذه الكيمياء العجيبة التي تفرض على بعض عشاق الثقافات الأخرى ما يدعوهم ميشيل دوسرتو «وثبة نحو الآخر»، وثبة يصبّ فيها كلّ منهم جماع قواه وينذر لها، إلى جانب وقته، انتباهه الشديد الدائم، وهذا كلّه دون أن يتخلّى عن هويّته أو رؤيته الشخصية للثقافة والعالم. هذه الوثبة حاضرة في كلّ اشتغالات ميكيل على العرب ثقافة وحضارة وأدباً، وهي أوّل ما يتلقّفنا في هذا الديوان. قد لا يهمّ أن يتردّد اليراع في موضع ويجمع في آخر، أن يبدو متهمساً في الأشعار الأولى ثمّ يكمل عدّته ويفلح في التحليق عالياً في الأشعار اللاحقة، بل المهمّ هو أنّ حرارة الوثبة الخلاقة والاندفاع المحبّ نحو كلام الآخر هما هنا دوماً، وأنّهما لا يفتان يأتیان بما يفاجئنا ويمارس علينا تأثيراً أكيداً.

محاوّر عديدة تتوزع هذه القصائد، من الحنين إلى أوكسيتانيا (أو اللانغدوك)، مسقط رأس الشاعر في جنوب فرنسا، التي أحبّ طبيعتها وأحبّ تربيته فيها في ظلّ أبوين معلّمين ألهماه محبة الكتب، كما أحبّ تاريخها العريق ولغتها المحليّة، إلى

التغني بالأسفار وتأمل الزمن الفارّ ورحيل الأحبة يستحضرهم الشاعر تارةً بوجع حارق وطوراً بِمَيْلٍ إلى الحكمة لا يأتي من باب التعزّي بل هو متأصل في كلّ ما كتب ميكيل .

وعندما يتخلّى ميكيل - وهو يفعل ذلك في أغلب قصائده- عن إكراهات القافية والوزن، أي عن مستلزمات العروض العربية الكلاسيكية التي يلذّ له أن يصبّ كلامه الشعريّ في قوالبها أحياناً، نراه يلتحق بأحدث تقنيات الشعر العربيّ، عبر هذه الأبيات اللاموزونة وغير المقفّاة، والتي دعيت كما يعلم الجميع في العربية قصائد نثر، وهي ما يحمل في اللغات الغربية تسمية الشعر الحرّ. ثمّة هنا لدى ميكيل تحليق فريد للعبارة، ونضارة دائمة في اختيار المفردات المناسبة، وولع بصناعة الصور، وهذا كلّه يجعل من الشاعر الثمانينيّ العمر صنواً لأحدث الشعراء العرب .

سمّى ميكيل هذه المجموعات الأربع «أشعار متجاوبة»، وهل أكثر من هذا العنوان تعبيراً عن التجاوب الحميم المشبوب بين لغتين، وعن إرادة التخاطب التي تنحفر هنا في صميم الفعل الشعريّ؟ أو لا يشير ميكيل نفسه في ديباجة مجموعته الرابعة إلى بحثه بين اللسانين عن حوار وتبادل وعن إمكان إقامة نشيد ثنائيّ؟

أخيراً، في هذا الديوان قصائد قليلة تأتي مكرّرة في موضعين، مع تغييرات طفيفة أحياناً، وهذا التكرار المشفوع برغبة غي التنويع يتمتّع بحدّ ذاته بالقدرة على الكشف عن موضوعات مستحوذة على فكر الشاعر. ويبلغ هذا التكرار

الواعي ذروة تأثيره في أبيات رثائه لامرأة، قد يكون كتبها بعد رحيل والدته، والتي يستعيدها لاحقاً، بعد تغيير الضمير الشخصي، في رثاء ابنه الراحل مبكراً قبل عقود من السنوات. فكان الشاعر أراد أن يجمعهما في مرثاة موحّدة، متوسّلاً النداء الملتاع ذاته والشكل الشعري نفسه.

كاظم جهاد

فِي زُبُقِ اللَّيَالِي

Au mercure des nuits

باستثناء القصيدة المستوحاة من تيوفيل غوتيه، كُتبت
القصائد التالية بالعربية ثم ترجمها مؤلفها إلى الفرنسية أو
أعاد كتابتها فيها .

Notre pays prend fin à l'heure où tu déclines
Parmi les tortues de la nuit.
Un navire s'éteint
Au dernier port,
Nos larmes ont choisi, pour le rendez-vous
du silence,
Un lac, mémoire et mercure des nuits.

تَمَّتْ بِلَادُنَا وَأَنْتَ آفَلٌ
بَيْنَ سَلَاحِفِ اللَّيَالِي
انْطَفَأَتْ سَفِينَةٌ
فِي الْمَرْفَأِ الْأَخِيرِ،
وَاخْتَارَ دَمْعُنَا لِمِعَادِ السَّكُونِ
بُحَيْرَةً مِنْ زُبُقِ اللَّيَالِي .

L'oiseau frêle marchait sur les eaux gelées...
Un arbre a crié, trouant le silence de la
terre entière,
Pour convoquer les souvenirs avec les ombres.
Et monte alors, depuis les profondeurs
des îles abandonnées,
La lune, la dernière, sonnant la fin de toute volonté.

بَيْنَا كَانَ الْعُصْفُورُ مَا شِيئًا عَلَى الْمِيَاهِ الْمُتَجَلِّدَةِ،
صَرَخَتْ شَجَرَةٌ فِي صَمْتِ الْأَرْضِ كُلِّهَا،
مُنَادِيَةً عَلَى الذِّكْرِيَّاتِ وَالظُّلَالِ،
فَطَلَعَ مِنْ أَعْمَاقِ الْجَزَائِرِ الْمَفْقُودَةِ
الْبَدْرُ الْأَخِيرُ الْمُؤَذِّنُ بِنِهَآيَةِ النَّوَايَا.

Je t'ai laissée foulant l'herbe d'une capitale
dévastée,
Tandis qu'autour de tes paupières
Une araignée trame, indécise,
Le masque de la créature au jour de sa fuite vers
l'éternité.

تَرَكَتْكِ وَاطِئَةً عُشْبَ عَاصِمَةٍ مُّقْفِرَةٍ،
وَحَوْلَ حَاجِبَيْكَ
تَنْسُجُ عَنكَبُوتٌ حَائِرَةٌ
قِنَاعَ الْخَلِيقَةِ يَوْمَ تَفِرُّ إِلَى الْآخِرَةِ.

La plaine aux eaux paresseuses, c'était toi,
Toi le cheval noir labourant les roses et mes songes.
Mais les eaux soudain changent et les voici
– A l'assaut de mon corps et de ses citadelles –
D'écluse en écluse, dedans mon sang tout ton sang
qui se rue.

كُنْتُ هَذَا السَّهْلَ بِمِيَاهِهِ الْمُتَبَايِطَةِ،
كُنْتُ الْحِصَانَ الْأَسْوَدَ الَّذِي يَحْرُثُ
فِي الْوَرْدِ وَأَحْلَامِي؛
وَفَجْأَةً تَتَغَيَّرُ الْمِيَاهُ فَتَصِيرُ
– مُنْقِضَةً عَلَى قِلاعِ جَسَدِي كُلِّهَا –
دَمَكِ الْهَائِي فِي دَمِي، مِنْ تُرْعَةٍ إِلَى تُرْعَةٍ.

Le soir tombe, ma fille, il faut s'y abandonner,
Un instant de cigale est notre proie dernière.

يُطْبِقُ اللَّيْلُ، يَا بِنْتِي،
وَعَلَيْنَا أَنْ نَسْتَنِيْمَ إِلَيْهِ،
فَإِنَّ لَحْظَةَ زَيْزِ فَرِيْسَتُنَا الْأَخِيْرَةَ.

Le baiser

Je rêve d'un baiser qui désespère les poètes...
Baiser de la pluie aux yeux d'une vieille lépreuse,
Baiser de la comète à la poutre du ciel...
Baiser de la chaleur première, quand vient le temps
des feuilles dévoilées,
Et le baiser du vent au mufle de Pégase...
Baiser du Nil autour du berceau de Moïse,
Et le baiser du phare sur le port assoupi...
Baiser de l'abeille à la lèvre du dieu nouveau - né,
Et baiser des chansons qui pleurent le fleuve perdu...
Baiser de l'insecte prisonnier de la fleur meurtrière,
Et baiser des rumeurs sur le marché tout odorant
d'épices...
Baiser de la mer quand elle impatiente la pudeur
des îles,
Et sur les pierres, parmi l'herbe, baiser de l'escargot
aux traces lumineuses...
Baiser de l'automne enivrant les pressoirs de son
souffle,
Et baiser du brouillard sur les toits d'Istanbul...
Baiser d'une brise tiède tressant les cheveux
des moissons,

القُبلة

حُلْمِي قُبلةٌ تَسْتَهزِيءُ بِالشُّعراءِ
قُبلةٌ المَطَرِ على عَيْنِ العَجوزِ الجَذماءِ
وقُبلةٌ الشُّهابِ لِخَشْبَةِ السَّماءِ،
قُبلةٌ الحَرارةِ الأولى عند انْكِشافِ الأوراقِ
وقُبلةٌ الهَواءِ في مَنْخَرِي البُرّاقِ،
قُبلةٌ النِّيلِ حَوْلَ مَهْدِ مُوسى
وقُبلةٌ المَنارِ على نُعاسِ المَرَسى،
قُبلةٌ النِّحْلَةِ في شَفَةِ الإلهِ المَوْلودِ
وقُبلةٌ الأغانِي رِثاءً لِلنَّهْرِ المَفْقودِ،
قُبلةٌ الحَشْرَةِ المَسْجُونَةِ في زَهْرَةِ قاتِلَةِ
وقُبلةٌ الأَصواتِ على السُّوقِ المُتَبَّلَةِ،
قُبلةٌ البَحْرِ عندما يَبْلُو عِفَّةَ الجُزُرِ
وَبَيْنَ الحَصَى والأعْشابِ قُبلةٌ الحَلزُونِ اللامِعةُ الأَثَرِ،
قُبلةٌ هُبُوبِ الخَرِيفِ فَوْقَ المَعاصِرِ السَّكرانَةِ
وقُبلةٌ الضَّبَابِ على سُقُوفِ الإِسْتانَةِ،
قُبلةٌ رِيحِ فَاتِرَةٍ إِذا تَضَفَّرُ أشعارَ الحِصادِ

Et le baiser du doigt qui grave le nom du passé
dans la mémoire de la cendre...
Baiser d'un pas qui réveille le château déserté,
Et baiser d'un rayon à l'oratoire silencieux...
Baiser le l'ombre, sourire au fond du puits,
Et baiser des soleils roulant sur les soleils...
Baiser de la source sur les habits de la mousse
rouillée,
Et baiser de la nuit sur les champs qui s'éteignent...
Mais où est le baiser qui jamais ne commencera ?

وَقُبْلَةُ إِصْبَعٍ تَكْتُبُ اسْمَ الْمَاضِي فِي ذَاكِرَةِ الرَّمَادِ،
قُبْلَةُ خُطْوَةٍ تُنْعَشُ الْبَلَاطَ الْمَخْلَى
وَقُبْلَةُ شُعَاعٍ لِسُكُوتِ الْمُصَلَّى،
قُبْلَةُ الظَّلَامِ الْمُبْتَسِمِ فِي قَعْرِ الْقَمُوسِ
وَقُبْلَةُ الشَّمُوسِ الْمُتَلَاصِقَةِ بِالشُّمُوسِ،
قُبْلَةُ الْيَنْبُوعِ عَلَى الطُّحْلِبِ الصَّدِئَةِ
وَقُبْلَةُ اللَّيَالِيِ فَوْقَ الْحُقُولِ الْمُنْطَفِئَةِ،
وَلَكِنْ . . . أَيْنَ الْقُبْلَةُ الَّتِي لَنْ تَبْتَدِيَ؟

Je te confie le mal des vallées trop secretes,
La raison d'un nuage en fuite vers la mer,
Je te confie l'étrange obstination des sources
Et ce violon déçu qui rêve de l'hiver.
Ah ! suivre sur ton corps la trace des rivières,
Ah ! cueillir sur ton corps les larmes de la mer !

أُودِعُكَ ضَنْىِ الْأُودِيَةِ الْغَامِضَةِ
وَعِلَّةَ سَحَابٍ مُفْلِتٍ إِلَى الْبَحْرِ،
أُودِعُكَ مُعَانِدَةَ الْعُيُونِ الْغَرِيبَةِ
وَهَذِهِ الْكَمَنْجَةَ الْخَائِبَةَ الْحَالِمَةَ بِالشِّتَاءِ
يَا لَيْتَنِي سَلَكَتُ عَلَى جِسْمِكَ رُسُومَ الْأَنْهَارِ،
يَا لَيْتَنِي قَطَفْتُ عَلَى جِسْمِكَ دُمُوعَ الْبِحَارِ!

L'heure est venue : sur tes cheveux le vent mûrit,
A tes lèvres voici le temps de la moisson.
Tu es ce champ, le mien,
Et le monde plus rien que cette blonde faucille
Ou les épis qui battent sous tes cils.

أَنَ فِي شَعْرِكَ مَوْعِدُ الرِّيحِ اليَانِعَةِ،
هَآ هُوَ مَوْسِمُ الحَصَادِ عَلَى شَفْتَيْكَ
أَنْتِ حَقْلِي
وَلَمْ يَبْقَ فِي الأَرْضِ إِلَّا هَذَا المِنْجَلُ الأَصْهَبُ
وَتَحْتَ هُدْبِكَ السَّنَابِلُ الخَافِقَةُ.

En souvenir d'Apollinaire

Étoile de l'aven, mon beau calcaire, ô ma mémoire
Mourante vive au cri de pins incandescents.

تذكاراً لـغَيوم أبولينير

يا نجمة البئار، يا كلسي الجميل،

يا ذاكرتي

في موتك الحي،

في صيحات التُّوب المتألِّق!

Toi

Il est un arbre au pôle de ma vie,
Unique entr'aperçu dans la poussière de mes nuits.
C'est une aube parmi les rêves de la terre mouillée,
L'étoile enivrée au chant des arcs prophétiques,
C'est toi, dans le matin qui se déchire,
Ton secret livré aux fleurs sous l'écume du ciel.
Il nous faut maintenant payer le prix des collines,
Des jardins en éclair et des énigmes sans bonheur.
Notre orgueil cédera, nous fraterniserons
Avec l'arbre innocent
Qui frémit refusant le péché et la mort.
C'est toi, c'est nous, c'est un autre
Quand tu me dis, et pour jamais : oui... et non.

أنتِ

إِنَّ فِي قُطْبِ حَيَاتِي شَجَرَةً،
لَمْ أَشَاهِدْ مِنْ هَبَاءِ ظُلْمَاتِي مِثْلَهَا،
هِيَ فَجْرٌ بَيْنَ أَحْلَامِ الثَّرَى،
نَشْوَةٌ الْكَوْكَبِ مُذْ رَنَّتْ قِسِيَّ الْأَنْبِيَاءِ.
فَهِيَ أَنْتِ حِينَ يُفْلَقُ الضُّحَى
وَتُنَاجِينَ الزُّهُورِ تَحْتَ رَغْوَةِ السَّمَاءِ.
فَلنُؤدُّ الْآنَ أَثْمَانَ الرَّبِّي
وَأَجِنَّةَ الْبُرُوقِ وَالْأَحَاجِي الْأَسِيَّةِ،
وَلنُؤَاخِ - رَغَمَ كِبْرِيَانِنَا -
هَذِهِ الْأَشْجَارَ وَالْبَرَاءَةَ الَّتِي أَبِي
خَفَقَانُهَا الْخَطَايَا وَالْمُنَى.
هِيَ أَنْتِ، هِيَ نَحْنُ، هِيَ غَيْرٌ، عِنْدَمَا
قُلْتِ لِي - وَلَمْ تَزَالِي - إِيَّيَ وَلَا

Au souvenir de René Char

Petit enfant des caravanes sans espoir,
Dis-moi : qui se cache derrière les ruines ?
et qui derrière les idoles ?

– J'ai vu comme une chanson qui descendrait
entre les deux rives du jour,
Et le savoir, un reste fatigué d'étoiles,
Et des pays qui ne demandaient rien que
d'être regardés.

تذكراً للشاعر رينيه شار

ماذا رأيته، يا ابن قوافل الفشل؟
من وراء الدمار؟ من وراء الأضنام؟
– رأيت غناءً منحدرًا بين ضفتي النهار،
رأيت العلم، وهو بقية النجوم البالية،
ورأيت بلاداً لا تطلب إلا أن تُنظر.

Ville écarlate et cuirassée de vent
Fuite au droit de la mer citadelle nuage.

مَدِينَةٌ قَرْمِزِيَّةٌ مُدَجَّجَةٌ بِالرِّيَّاحِ،
يَا قَلْعَةً، يَا غُيُومٌ،
يَا فِرَارُ، شَطَرَ الْبَحْرِ وَحَقَّهُ!

Écoutez-moi, les orphelins !
Quand les deserts et les jardins feront silence,
Quand dormiront l'oiseau, le désespoir, la lune,
Prêtez l'oreille au battement d'aile de l'oubli,
Puis que tournent en vous les soleils de l'enfance,
Mais ne réveillez pas la pluie !

اسْمَعُوا، أَيُّهَا الْيَتَامَى!
إِذَا سَكَتِ الْفَيَافِي وَالْجِنَانُ
وَنَامَتِ الطُّيُورُ وَالْيَأْسُ وَالْقَمَرُ،
أَنْصِتُوا لِرِزْقَةِ النَّسِيَانُ،
ثُمَّ أَدِيرُوا شُمُوسَ الصَّبَاءِ،
وَلَا تُوقِظُوا الْمَطَرَ!

Mais comment sans amour s'en aller sur la mer ?

Theophile Gautier

Comme un vaisseau qui brûle au milieu de la mer

Anonyme français, XVI^e siècle

Tu es partie... Tous les prés, tous les marbres se
meurent,

Un cygne crie, un poignard viole sa blancheur,
Dans un dernier effort de son aile clouée...

Mais comment sans amour s'en aller sur la mer ?

Tu est partie... La foudre frappe, aux minarets, les
colombes...

Mais comment sans amour s'en aller sur la mer ?

Tu es partie... Chaque livre devient le texte de ma
tombe,

Les lettres, des cadavres estampillés de feu,

Les pages, des fantômes courant entre les lignes...

Mais comment sans amour s'en aller su la mer ?

Tu es partie... Un lys amer est tout ce qui me reste,
Avec un bateau gris qui brûle su la mer.

«فَكَيْفَ بِلَا حُبِّ نُسَافِرُ فِي الْبَحْرِ؟»

(تيوفيل غوتيه)

«مِثْلَ سَفِينَةٍ تَلْتَهَبُ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ...»

(مؤلف فرنسي مجهول، القرن ١٦)

ذَهَبْتِ . . . يَمُوتُ كُلُّ مَوْجٍ وَمَرْمَرٍ،
فِيَصْرُخُ تَمَّ، فِي فِجَاءَةِ خَنْجَرٍ،
وَجُهْدٌ آخِرٌ فِي جَنَاحِ مُسَمَّرٍ . . .
وَكَيْفَ بِلَا حُبِّ نُسَافِرُ فِي الْبَحْرِ؟
ذَهَبْتِ وَأَضَعْتِ حَمَامُ الْمَنَائِرِ . . .
وَكَيْفَ بِلَا حُبِّ نُسَافِرُ فِي الْبَحْرِ؟
ذَهَبْتِ وَكُلُّ مُصْحَفٍ نَصُّ مَقْبَرِي،
حُرُوفُهُ أَجْيَافٌ تُوقِعُ بِالنَّارِ،
وَجُوهُهُ أَطْيَافٌ عَدَتْ بَيْنَ أَسْطُرٍ . . .
وَكَيْفَ بِلَا حُبِّ نُسَافِرُ فِي الْبَحْرِ؟
ذَهَبْتِ . . . وَلَمْ يَبْقَ سِوَى زَنْبِقٍ مَرٍّ
وَبَاخِرَةٍ غِبْرَاءَ تُحَرِّقُ فِي الْبَحْرِ.

Sur tes cheveux la lune incline son croissant,
ô jeune fille d'un bout à l'autre de la terre,
Sur tes cheveux elle caresse, en un baiser, les
traces de rosée oubliées par la mer et la vigne.
A tes lèvres sourit la procession des morts aux
visages voilés.
Qui est-tu, jeune fille ? Révèle-moi cette
plaine de marbre
Où s'inscrivent les pluies de l'Asie et les larmes
des hommes,
Cette pluie que tu bois en ton cercueil de nuages !

مَا لَ الْهَلَالُ إِلَى شَعْرِكَ، يَا فَتَاةَ الْعَالَمِ،
لِيُقْبَلَ عَلَيْهِ آثَارَ نَدَى الْبِحَارِ وَالْكُرُومِ،
وَيَبْتَسِمُ فِي شَفْتَيْكَ الْمَوْتَى الْقَادِمُونَ تَحْتَ اللَّثَامِ . . .
مَنْ أَنْتِ، يَا فَتَاةُ، وَمَا وَجْهُ هَذَا الرَّخَامِ
الَّذِي كُتِبَتْ فِيهِ أَمْطَارُ آسِيَا وَدَمُوعُ الْأَنَامِ؟
مَا هِيَ الْأَمْطَارُ الَّتِي شَرِبْتِهَا فِي تَابُوتِكَ الْغَائِمِ؟

Cependant que Sindbad le portefaix me parlait
de mes îles,
Je vis soudain le tout, l'être et l'arc de la pluie
Tendu depuis le fond des mers jusqu'au sommet des
mâts,
La bourrasque lunaire des tombes
Et les yeux de mes morts à la cime des pins.

كَانَ سِنْدْبَادُ الْحَمَّالُ يَتَكَلَّمُ عَن جَزَائِرِي
فَرَأَيْتُ فُجَاءَةَ الْكُلِّ وَالْكِيَانَ وَقَوْسَ الْمَطَرِ
الْمُمْتَدَّةَ مِنَ عُمُقِ الْبِحَارِ إِلَى قِمَّةِ الصَّوَارِي
وَزَوْبَعَةَ الْقُبُورِ وَالْقَمَرِ
وَأَعْيُنَ مَوْتَايَ فَوْقَ الصَّنُوبَرِ.

Coule, ô poussière, aux avenues du monstre,
Éteins la fièvre du volcan,
Là-bas détruis la bête qui palpite,
Caché, oublié, hypocrite,
Dissous, poussière, mon désir !

سِلِّ، يَا غُبَارُ، فِي شَوَارِعِ الْمَمْسُوحِ،
وَأَطْفِئِ حُمَى الْبُرْكَانِ،
وَأَقْتُلْ فِيهِ الْحَيَّوَانَ الْخَافِقَ
الْمَخْفِيَّ الْمَنْسِيَّ الْمُنَافِقَ،
ذَوِّبْ، يَا غُبَارُ، الْمَطْمَعِ!

Vois, mon enfant, ce cheval qui passe au galop,
Ombre sur la poussière d'une vitre jaunie,
Rêve inerte, souvenir ou regret.
Il ne se connaît pas de pays ici-bas,
Sauf un peut-être, refuge à l'abri des refuges.
Ce cheval heureux de la certitude qui vient,
Moi et ma mort inconnue.

يَا بُنَيَّ أَنْظِرْ إِلَى هَذَا الْحِصَانِ الْمُرْقَلِ
الَّذِي يَمُرُّ طَيْفُهُ عَلَى الزُّجَاجَةِ الصَّفْرَاءِ الْمُعْفَرَةِ،
مِثْلَ حُلْمٍ جَامِدٍ، أَوْ ذِكْرٍ، أَوْ نَدَامَةٍ؛
لَا يَعْرِفُ بَلَدَهُ فِي الْأَرْضِ،
إِلَّا (رُبَّمَا) بَلَدًا وَاحِدًا، وَهُوَ ذَرِّي
فِي مَأْمَنِ مَنْ كُلِّ ذَرِّي؛
هَذَا الْحِصَانُ السَّعِيدُ أَمَامَ الْيَقِينِ الْآتِي:
أَنَا وَمَوْتِي الْمَجْهُولِ.

Du fond des mines où je vis, le désir appelle
à son aide
La lumière d'un hôte qui, de mes signes secrets,
ne laisse rien subsister que lui-même.
Tout moment passé près de lui
Se voit mourir de n'être que passage.
Et sous le très long vent,
Qui vient me perdre, insidieux, depuis les hautes
coupoles de la jeunesse,
Sous les soleils mourants de mes nuits assiégées,
Mon cri n'a rencontré qu'un autre cri,
Que les mots égorgés du serment.

في معادِنِي يَسْتَجِيرُ المَرَامُ
نُورَ ضَيْفٍ لَمْ يُبْقِ مِنْ مَعَانِي سِوَاهُ
وَكُلُّ وَقْتٍ مَقْضِيٍّ عِنْدَهُ
شَيْءٌ مَقْضِيٌّ عَلَيْهِ بِالمُرُورِ .
تَحْتَ الرِّيحِ الطَّوِيلَةِ
المُوسِوسَةِ مِنْ أَعْلَى قِبَابِ العُنْفُوانِ ،
وَتَحْتَ الشُّمُوسِ المُحْتَضِرَةِ فِي حِصَارِ اللِّيَالِي ،
لَمْ تَبْلُغْ صِيحَتِي إِلَّا صِيحَةً أُخْرَى ،
وَهِيَ أَلْفَاظُ الوَفَاءِ المَذْبُوحَةِ .

Par quelque nuit lointaine,
Lorsque le ciel fuit e bascule
Vers des mondes en lambeaux,
Le destin refusé découvre à notre révolte
Passant pour l'espérance un grand vaisseau muet.

في بعض الليالي النَّائية،
حين تُفَلِّتُ السماء
وتنقلبُ إلى عوالمٍ مُتمزِّقة،
نَورٌ على المَكْتُوبِ ونرى
سَفِينَةً كَبِيرَةً صَامِتَةً
تُمرُّ إلى الرجاء.

Sur le chemin qui me ramenait de mes flamboyants
territoires

Aux cités impies qui nous dévisagent,
Mon esprit a volé vers l'arbre attendu, attendant,
Qui ne doit pas mourir avant que je ne meure,
Enserré, accueilli
Dans sa fibreuse parenté.

رَاجِعاً مِنْ أَرَاضِي اللَّمَاعَةِ،
إِلَى حَوَاضِرِ الْكُفْرِ الْمُحَدِّقَةِ فِينَا،
طَارَ خَاطِرِي إِلَى الشَّجَرَةِ الْمُتَنْظِرَةِ الْمُتَنْظِرَةَ
الَّتِي قُضِيَ عَلَيْهَا إِلَّا تَمُوتَ حَتَّى أَمُوتَ أَنَا،
لِكَيْ تَقْبَلَنِي وَتَسْتَوْعِبَنِي
فِي وَشِيَجَتِهَا .

Au soir

Un reste de ciel en tes yeux et tes yeux dans le ciel...
Entêtante et contradictoire flottait la fièvre
des genêts,
Odeur âcre des tiges et puissances des fleurs...
Nous effleurait l'encens de sources prêtes à voir
le jour,
Tu buvais jusqu'à la satiété les herbes
incandescentes de la nuit
Et moi, j'écoutais
Cette simandre en moi qui bat mémoire
de ton corps.

في المساء

كَانَتْ بَقِيَّةً مِنَ السَّمَاءِ فِي عَيْنَيْكَ وَعَيْنَاكَ فِي السَّمَاءِ،
كَانَتْ تَطْفُو عَلَيْنَا حُمَى الْوَزَالِ الْمُتَلَجِّجَةِ الْمُتَنَافِرَةِ،
الذَّكِيَّةُ الْأَزْهَارِ، الْحَامِزَةُ السِّيْقَانِ،
كَانَ يَمْسُنَا بَخُورٌ يَنَابِيعَ عَلَى وَشِكِّ الْإِنْفِجَارِ،
كُنْتُ تَتَشَرَّبِينَ عُشْبَ اللَّيَالِي الْوَهَّاجِ،
وَكُنْتُ أَنَا مُضْغِيًّا إِلَى هَذَا النَّاقُوسِ
الَّذِي يَقْرَعُ ذِكْرِي جِسْمِكَ فِي جِسْمِي.

J'ai borné chaque étape
A chaque soir,
Sur le front des vents et le salut des arbres,
Près d'une maison surgie de la nuit,
Chaque fois envahi, heureux
Et plus encore :
Réconcilié.

حَدَدْتُ كُلَّ مَرَحَلَةٍ
فِي كُلِّ مَسَاءٍ،
أَمَامَ جَبْهَةِ الرِّيحِ وَالْأَشْجَارِ الْمُسَلِّمَةِ،
جَنْبًا لِدَارٍ بَارِزَةٍ مِنَ اللَّيْلِ،
وَسَاوَرْتُنِي - كُلَّ مَرَّةٍ -
السَّعَادَةُ،
وَأَكْثَرُ مِنْهَا:
أَعْنِي التَّصَالِحُ.

Tu me demandes pourquoi les sources sont si graves,
Mon silence te surprend et pourtant
Me voici noyé en tes prunelles comme en des puits
sans fond

Et payant à ces sources une dette d'amour.
Tu demandes : à la fin, que veulent donc les sources,
Pourquoi, ici ou là, ne chantent-elles plus,
Pourquoi arrive-t-il qu'elles rêvent si haut ?
Et moi, j'ai souri aux sources : filles très sages,
Dites-le lui pour moi : sois en paix, je le veux,
Car rien de tout cela n'échappe à ma promesse.

تَسْأَلِنِي عَنْ رَزَانَةِ الْعُيُونِ ،
تَعْجَبِينَ مِنْ سُكُوتِي غَيْرَ أَنِّي
مُنْحَنٍ عَلَى بِنَارٍ مُقْلَتَيْنِ ،
وَمَدِينٍ لِلْعُيُونِ بِالْحَنِينِ .
تَسْأَلِينَ : أَيْنَ غَايَةُ الْعُيُونِ ،
وَلِمَاذَا فِي مَكَانٍ لَا تُغْنِي ،
وَلِمَاذَا فِي زَمَانٍ ذَا التَّمَنِّي ؟
فَأَبْتَسَمْتُ لِلْعُيُونِ : يَا غَوَانِي ،
قُلْنَ عَنِّي : إِنَّ هَذَا مِنْ أَمَانِي ،
كُلُّ هَذَا يَنْتَمِي إِلَيَّ يَمِينِي !

الطّفّل والوعد

L'enfant et la promesse

Qu'un homme tard venu à l'arabe, autour de ses vingt ans et, plus sérieusement, dix ans après, entreprenne de faire le chemin inverse de celui qu'il avait pratiqué avec la lecture et la traduction, pour aller cette fois de sa langue vers l'arabe, et en poésie, voilà qui peut paraître plus que risqué : immodeste.

L'aventure a commencé avec l'ami très regretté, Pierre Bernard, directeur et animateur des éditions Sindbad, qui voulut bien, sous le titre *Au mercure des nuits*, accueillir en 1989 un recueil de poèmes composés en arabe et traduits, avec le minimum essentiel de liberté, en français. Je le reprends, en l'émondant ou complétant, à un âge où l'on devrait douter de tout. Au moins verra-t-on en ce petit livre, je l'espère, un hommage rendu, hors des tumultes de ce temps, aux permanentes beautés de cette langue qui donna à un Languedocien l'occasion de faire, sur l'autre côté de sa mer, le plus enrichissant des voyages.

Et le retour aux sources inséparable de l'âge qui vient. Que dis-je ? Venu. Ces pages sont dédiées à deux enfants, une fille, mère elle-même, et un fils, mort à quinze ans, il y a si longtemps...

Que les amis arabisants ou arabophones veuillent bien accorder toute indulgence à ce désir, aux jeux que je me suis permis ici et là avec la prosodie classique, comme aux étourderies de syntaxe ou hésitations de graphie qui se seraient glissées ici ou là. Qu'ils ne retiennent que le merci qui leur est donné, à travers la langue qui nous réunit, pour tant de conseils, de rencontres, d'échanges sans lesquels ma vie n'aurait pas été ce qu'elle fut.

أن يكون رجلٌ تعلّم العربية متأخراً، في حوالى العشرين من عمره، ثمّ يقوم بعد عشر سنوات من ذلك، وبقدّرٍ من الجدِّ أكبر، بانتهاج الطريق المعاكسة لتلك التي لطالما سلكها قارئاً ومترجماً، فينتقل هذه المرّة من لسانه إلى اللّغة العربية، وأن يقوم بذلك شعراً، هذا أمرٌ يمكن أن يبدو محفوفاً بالمخاطر، لا بل ضرباً من انعدام التواضع.

بدأت هذه المغامرة مع صديقنا المأسوف عليه بيير برنار، مدير منشورات سندباد [الباريسيّة] والمُشرف على أعمالها، الذي طاب له أن ينشر، في ١٩٨٩، تحت عنوان «في زئبق الليالي»، مجموعة أشعارٍ كنتُ قد كتبتها بالعربية ثمّ نقلتها إلى الفرنسية مع الحدّ الأدنى الضروريّ من التصرّف. والآن أعيد نشر هذه المجموعة مع تعديلات وإضافات، في سنّ ينبغي أن يُخضع المرء فيها للشكّ كلّ شيء. أملٌ على الأقلّ أن يرى القراء في هذا الكتيّب تحيّة إجلال أزجيتها، في ما وراء هذا الزمن العاصف، إلى الفتنة الدائمة لهذه اللّغة التي وهبت سليلَ أوكسيتانيا [الذي هو أنا] فرصة القيام عبر الضفة الأخرى من المتوسطّ بأكثر الأسفار إثراءً للإنسان.

وكذلك فرصة هذه العودة إلى الينابيع، عودة ملازمة للسنّ الآتية، لا بل التي أتت.

هذه الصفحات مهداة إلى ولدين لي، إلى ابنة، هي نفسها والدّة، وإلى ابنٍ رحلَ عن خمس عشرة سنة، منذ عهدٍ بعيد.

إنّي أسأل الأصدقاء الناطقين بالعربية والمستعربين أن يشملوا بتسامحهم هذه الرّغبة، وهذه التجوّزات التي رخصتها

لنفسى هنا وهناك إزاء العروض العربية الكلاسيكية، وربما أيضاً
بعض الهنات في النحو والإملاء. وإني لأرجو ألا يعيروا انتباهاً
إلا لهذا العرفان الموجّه إليهم عبر هذا اللسان الذي جمّعنا في
مجالس ولقاءات وتبادلات ما كان لحياتي من دونها أن تصبح ما
كانته. (١)

(١) كان المؤلف قد وضع هذه الديباجة بالفرنسية فقط، وصاغها هنا بالعربية
كاظم جهاد.

هـمـي

ELLE

يُطْبِقُ اللَّيْلُ، يَا ابْنَتِي،
وَعَلَيْنَا أَنْ نَسْتَنِيْمَ إِلَيْهِ،
فَإِنَّ لَحْظَةَ زَيْزِ فَرِيْسَتُنَا الْأَخِيْرَةَ.

Le soir tombe, ma fille,
il faut s'y abandonner,
un instant de cigale est notre proie dernière.

أُودِعُكَ ضَنْى الأُودِيَةِ الغَامِضَةِ
وَعِلَّةَ سَحَابٍ مُفْلِتٍ إِلَى البَحْرِ،
أُودِعُكَ مُعَانِدَةَ العُيُونِ الغَرِيبَةِ
وهذه الكَمَنْجَةُ الغَائِبَةُ الحَالِمَةُ بِالشِّتَاءِ .
يَا لَيْتَنِي سَلَكَتُ عَلَى يَدَيْكَ رُسُومَ الأَنْهَارِ،
يَا لَيْتَنِي قَطَفْتُ مِنْ يَدَيْكَ دُمُوعَ البِحَارِ!

Je te confie le mal des vallées trop secrètes,
la raison du nuage en fuite vers la mer,
je te confie l'étrange obstination des sources
et ce violon déçu qui rêve de l'hiver.
Ah ! Suivre sur tes mains le tracé des rivières,
ah ! Cueillir sur tes mains les larmes de la mer !

كُنْتُ هَذَا السَّهْلِ بِمِيَاهِهِ الْمُتَبَاطِئَةَ ،
كُنْتُ الْحِصَانَ الْأَسْوَدَ الْحَارِثَ
فِي الْوَرْدِ وَأَحْلَامِي .
وَفَجْأَةً تَتَغَيَّرُ الْمِيَاهُ فَتَصِيرُ
- مُنْقَضَةً عَلَى قِلَاعِ جَسَدِي كُلِّهَا -
دَمَكِ الْهَائِي فِي دَمِي مِنْ تُرْعَةٍ إِلَى تُرْعَةٍ .

La plaine aux eaux paresseuses, c'était toi,
toi le cheval noir labourant
les roses et mes songes,
mais les eaux soudain changent et les voici
- à l'assaut de mon corps et de ses citadelles -
d'écluse en écluse dedans mon sang tout ton sang
qui se rue.

مَا لَ الْهَلَالُ إِلَى شَعْرِكَ، يَا فَتَاةَ الْعَالَمِ،
لِيُقْبَلَ عَلَيْهِ آثَارَ نَدَى الْبِحَارِ وَالْكُرُومِ
وَمَوْكِبِ الْأَجْدَادِ تَحْتَ اللَّثَامِ.
مَا أَنْتِ، يَا فَتَاةُ، وَأَيْنَ عَيْنُ هَذَا الْغَرَامِ
الَّذِي قَالَ لَنَا أَمْطَارَ آسِيَا وَدُمُوعَ الْأَنَامِ
وَلَمْ يُكَلِّمْنَا عَنِ الْكُنُوزِ الْمَحْفُوظَةِ فِي مَأْوَاكِ الْغَائِمِ؟

Sur tes cheveux la lune incline son croissant, ô jeune
fille ombre du monde,
son baiser y cherche un reste de rosée venue de
la mer ou des vignes
et le cortège des aïeux aux visages voilés.
Qu'es-tu donc, jeune fille, et d'où naît cet amour
qui nous dit les pluies de l'Asie et les larmes des
hommes,
mais nous tait les trésors à l'abri de tes brumes ?

آنَ فِي شَعْرِكَ مَوْعِدُ الرِّيحِ اليانعة،
ها هُوَ مَوْسِمُ الحَصَادِ عَلَى شَفْتَيْكَ.

أَنْتِ حَقْلِي

وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الأَرْضِ إِلَّا هَذَا المِنْجَلُ الأَصْهَبُ
وَتَحْتَ هُدْبِكَ السَّنَابِلُ الخَافِقَةُ.

L'heure est venue : sur tes cheveux le vent mûrit,
à tes lèvres voici le temps de la maison.
Tu es ce champ, le mien,
et le monde plus rien que cette blonde faucille
ou les épis qui battent sous tes cils.

إِنَّ فِي قُطْبِ حَيَاتِي شَجَرَةً،
لَمْ أَشَاهِدْ مِنْ هَبَاءِ ظُلُمَاتِي مِثْلَهَا .
هِيَ فَجْرٌ بَيْنَ أَحْلَامِ الثَّرَى،
نَشْوَةٌ الكَوْكَبِ مُذْ رَنَّتْ قِسِيَّ الأنَّبِيَاءِ .
فَهِيَ أَنْتِ حِينَ يُفْلِقُ الضُّحَى
وَتُنَاجِينَ الزُّهُورِ تَحْتَ رَغْوَةِ السَّمَاءِ .
فَلنُودِّ الآنَ أثمانَ الرُّبَى
وَجِنَانِ البُرُوقِ وَالأَحَاجِي الأَسِيَّةِ،
وَلنُؤَاحِ - رَغَمَ كِبْرِيائِنَا -
هَذِهِ الأشْجَارَ والبَرَاءَةَ
الَّتِي أَبِي خَفَقَانُهَا الخَطَايَا وَالْمَنَى .
هِيَ أَنْتِ، هِيَ نَحْنُ، هِيَ غَيْرٌ، عِنْدَمَا
قُلْتِ لِي - وَلَمْ تَزَالِي - إِيَّيَ وَلا .

Il est un arbre au pôle de ma vie,
unique entr'aperçu dans la poussière de mes nuits.
C'est une aube parmi les rêves de la terre mouillée,
l'étoile enivrée au chant des arcs prophétiques,
c'est toi, dans le matin qui se déchire,
ton secret livré aux fleurs dans l'écume du ciel.
Il nous faut maintenant payer le prix des collines,
des jardins aux éclairs et des énigmes sans bonheur.
Notre orgueil cédera, nous fraterniserons
avec l'arbre innocent
qui frémit refusant le péché et la mort.
C'est toi, c'est nous, c'est un autre
quand tu me dis, et pour jamais : oui... et non.

في ذكرى رينيه شار

مَاذَا رَأَيْتِ، يَا ابْنَةَ قَوَافِلِ الْفِشْلِ،
مَنْ وَرَاءَ الدَّمَارِ،
مَنْ وَرَاءَ الْأَصْنَامِ؟
- رَأَيْتُ غِنَاءً مُنْحَدِرًا بَيْنَ ضِفَّتَيْ النَّهَارِ،
رَأَيْتُ الْعِلْمَ، وَهُوَ بَقِيَّةُ النُّجُومِ الْبَالِيَةِ،
وَرَأَيْتُ بِلَادًا كُلُّهَا أَنْتِظَارِهَا أَنْ تُرَى.

au souvenir de René Char

Petite fille des caravanes sans espoir,
dis-moi : qui se cache derrière les ruines,
et qui derrière les idoles ?
- J'ai vu comme une chanson qui descendrait entre
les deux rives du jour,
et le savoir, un reste fatigué d'étoiles,
et des pays qui ne demandaient rien que d'être
regardés.

اسْمَعُوا، أَيُّهَا الْيَتَامَى !
إِذَا سَكَتِ الْفِيَا فِي وَالْجِنَانُ
وَنَامَتِ الطُّيُورُ وَالْيَأْسُ وَالْقَمَرُ،
أَنْصِتُوا لِرَفْرِفَةِ النَّسِيَانُ،
ثُمَّ أَدِيرُوا شُمُوسَ الصَّبَاءِ
وَلَا تُوقِظُوا الْمَطْرَ !

Ecoutez-moi, les orphelins !

Quand les déserts et les jardins feront silence,
quand dormiront l'oiseau, le désespoir, la lune,
prêtez l'oreille au battement d'aile de l'oubli,
puis que tournent en vous les soleils de l'enfance,
mais ne réveillez pas la pluie !

فِي بَعْضِ اللَّيَالِي النَّائِيَّةِ،
حِينَ تُفْلِتُ السَّمَاءُ
وَتَنْقَلِبُ إِلَى عَوَالِمٍ مُتَمَرِّقَةٍ،
نُورٌ عَلَى الْمَكْتُوبِ وَنَرَى
سَفِينَةً كَبِيرَةً صَامِتَةً
تَمُرُّ إِلَى الرَّجَاءِ.

Par quelque nuit lointaine,
lorsque le ciel fuit
et bascule vers des mondes en lambeaux,
le destin refusé découvre à notre révolte
passant pour l'espérance
un grand vaisseau muet.

إلى كلودين وجمال الدين بن شيخ

رَاجِعًا مِنْ أَرَاضِي اللَّمَاعَةِ
إِلَى حَوَاضِرِ الْكُفْرِ الْمُحَدَّقَةِ فِينَا،
طَارَ خَاطِرِي إِلَى الشَّجَرَةِ الْمُتَنْظِرَةِ الْمُتَنْظِرَةَ،
قُضِيَ عَلَيْهَا إِلَّا تَمُوتَ حَتَّى أَمُوتَ أَنَا،
لَكِنِّي تَقْبَلْنِي وَتَسْتَوْعِبْنِي
فِي وَشِيحَتِهَا .

à C. et J. Bencheikh

Sur le chemin qui me ramenait de mes flamboyants
territoires
aux cités impies qui nous dévisagent,
mon esprit a volé vers l'arbre attendu, attendant,
qui ne doit pas mourir avant que je ne meure,
enserré, accueilli
dans sa fibreuse parenté.

تَسْأَلِينَ عَنْ رَزَانَةِ الْعُيُونِ ،
تَعْجَبِينَ مِنْ سُكُوتِي غَيْرَ أَنِّي
مُنْحَنٍ عَلَى بِنَارٍ مُقْلَتَيْنِ
وَمَدِينٍ لِلْعُيُونِ بِالْحَيْنِ .
تَسْأَلِينَ : أَيْنَ غَايَةُ الْعُيُونِ ، وَلِمَاذَا فِي مَكَانٍ لَا تُغْنِي
وَلِمَاذَا فِي زَمَانٍ ذَا التَّمَنِّيِّ ؟
فَأَبْتَسَمْتُ لِلْعُيُونِ : يَا غَوَانِي ،
قُلْنَ عَنِّي : إِنَّ هَذَا مِنْ أَمَانِي ،
كُلُّ هَذَا يَنْتَمِي إِلَى يَمِينِي .

Tu demandes pourquoi les sources sont si graves,
mon silence te surprend alors même
que je m'abîme dans les puits d'un regard
en payant à ces sources une dette d'amour.
Tu demandes : à la fin, que veulent donc les sources,
pourquoi, ici et là, ne chantent-elles plus,
pourquoi arrive-t-il qu'elles rêvent si haut ?
Et moi, j'ai souri aux sources : jolies filles,
dites-le lui pour moi : sois en paix, je le veux,
car rien de tout cela n'échappe à ma promesse.

كَانَتْ بَقِيَّةٌ مِنَ السَّمَاءِ فِي عَيْنَيْكَ وَعَيْنَاكَ فِي السَّمَاءِ ،
كَانَتْ تَطْفُو عَلَيْنَا حُمَى الْوَزَالِ الْمُتَلَجِّجَةِ الْمُتَنَافِرَةِ
الذَّكِيَّةِ الْأَزْهَارِ الْحَامِزَةِ السِّيقَانِ ،
كَانَ يَمُسُّنَا بِخُورٍ يَنَابِيعَ عَلَى وَشِكِّ الْإِنْفِجَارِ ،
كَانَتْ تَتَشَرَّبِينَ عُشْبَ اللَّيَالِي الْوَهَّاجِ ،
وَكَانَتْ أَنَا مُضْغِيًّا
إِلَى هَذَا النَّاقُوسِ الَّذِي يَقْرَعُ ذِكْرِي جِسْمِكَ فِي جِسْمِي .

Un reste de ciel en tes yeux et tes yeux dans le ciel...
entêtante et contradictoire flottait la fièvre
des genêts,
odeur âcre des tiges et puissance des fleurs...
nous effleurait l'encens de sources prêtes au jour...
tu buvais jusqu'à satiété l'herbe incandescente
de la nuit...
et moi j'écoutais
cette simandre en moi qui bat mémoire de ton corps.

لِمَ اخْتَلَسُ أَحَادِيثَ جَنَّاتِ الْبَلَى؟
قَصِيدَتِي الْيَوْمَ لَمْ تَكُنْ سِوَاكَ هُنَا:
مَرَرْتُ فِي حُلْمِ أَلْفِ شَاعِرٍ شَاهِدٍ
بِأَلْفِ قَرْنٍ فَجَاءَ يَوْمٌ مَوْلِدِكَ.

A quoi bon dérober encore quelque parole aux
jardins fatigués ?

Ici même, aujourd'hui, le poème, c'est toi.

Tu traverses les rêves de mille poètes témoins
de mille siècles, et puis vient le jour où tu nais.

فَرَضْتِ عَلَيَّ أَقْتِبَاسَ الْأَزْهَارِ
مِنْ قَلْعَةٍ مَا ، بَعِيدَةٍ عَنَّا ،
لَكِنِّي أَجْعَلُ مَكَانَهَا وَزَمَانَهَا
وَلَا تَذَرِينَ أَكْثَرَ مِنِّي ،
فَقُولِي : أَلَا هَذِهِ الْقَلْعَةُ
هِيَ الَّتِي عِشْنَا فِيهَا
قَبْلَ أَثْرِ الْحَشْرَةِ الْأُولَى عَلَى الْأَرْضِ
وَقَطَفْنَا فِي جَنَانِهَا
الزَّهْرَةَ الْوَاجِدَةَ
الْمُقَنَّعَةَ بِالْيَقِينِ ؟

Tu m'imposes de reprendre les fleurs
à quelque citadelle lointaine...
j'en ignore le lieu et le temps
et tu n'en sais pas davantage,
mais dis-moi : n'est-ce pas cette citadelle
où nous avons vécu
avant même la trace du premier insecte sur la terre
pour cueillir en ses jardins
la fleur unique
voilée de certitude ?

يُطَوُّ طَرِيقُنَا وَأَنَا لَا أَدْعُوكِ
إِلَى تَشْجِيعِ أَوْدِيَّةٍ بَغَيْرِ صَدَى
فَإِنَّ بَلَاءَ وُلْدِ النَّاسِ عَاقِبَةٌ
لِتَرْكِهِمِ الْمَقَامَ بِمَجْلِسِ الْحُرَّاتِ.

Sur ce chemin sans fin, le nôtre, je t'adjure
de rendre leur courage aux vallées sans écho :
tu le sais, le mal vient aux enfants des hommes
sitôt la place désertée à l'assemblée des laboureurs.

دَفَنَتِ الثَّلُوجُ الطَّلَاسِمَ ،
وَالآنَ ، يَا ابْنَتِي ، أَسْمَعِي الْمَطَرَ
سَاعَةَ طَرَقِهِ بِأَبِي :
لِلْهُدُوءِ الْآنَ طَعْمُ الشِّتَاءِ .

Les talismans ont disparu sous la neige
écoute, ma fille, écoute maintenant la pluie,
l'instant vient, elle frappe à la porte :
maintenant la quiétude a le goût de l'hiver...

هَذِهِ الشَّجَرَةُ الَّتِي كَانَتْ قَبْلِي

وَقَدْ تَبَقِيَ بَعْدَكَ،

تَبَادَلْنَا فِي ظِلِّهَا

كُلُّ مَا جَاءَنَا

مِنْ وَعْدِ عَتِيقِي

كَالْخَمْرِ الْمَوْلُودَةِ مِنَ الْكَرَمَةِ الْأُولَى،

وَرَعْمًا عَنِ يَأْسِنَا أَمَامَ الْفِرَاقِ الْقَادِمِ،

نَظَمْتُنِي إِلَى فِكْرَةٍ وَهِيَ

أَنَّ أَوْلَادَنَا سَيَشْرَبُونَ فِيهَا

نِسْيَانَ كُلِّ مَاضٍ مُرْهِقٍ

وَحَتَّى نِسْيَانِنَا.

Cet arbre qui fut avant moi
et qui te survivra sans doute,
nous avons échangé à son ombre
tout ce qui nous venait
d'une vieille promesse,
vieille comme le vin jailli de la première vigne,
et malgré notre désespoir devant la séparation
qui approche,
nous nous réconfortons à une pensée :
que nos enfants boivent en ce vin
l'oubli des anciennes douleurs
et jusqu'à nous-mêmes.

لِمَ ذَا الْحِزْنُ وَقَدْ أَفْتَيْنَا
بِمَا لَا يُحْصَى مِنْ مَرَاجِلَ وَمَرَاسِي،
أَلَمْ نَزُرْ كُلَّ بَلَدٍ حَلَالٍ،
أَلَمْ نَرَكِبِ الْأَنْهَارَ الْكَبِيرَةَ الْخَالِيَةَ
الْمُسْفِرَةَ عَنْ ضَجَّةِ أَمْصَارٍ شَبَعِي؟
- بَلَى وَلَكِنْ مَا أَسْتَكْشِفْنَا
الْبَحْرَ الْهَارِبَ تَحْتَ خُطَوَاتِ إِسْكَندَرَ،
مَا أَسْتَظَلُّعْنَا السَّوَاجِلَ الْمُطْلَقَةَ.

Pourquoi cette tristesse ? N'en sommes-nous pas
à ne plus compter étapes et escales,
libres passants de tous pays,
mariniers des grands fleuves déserts
ouvrant sur le tumulte de métropoles repues... ?
- Peut-être, mais sans explorer
la mer qui fuyait sous les pas d'Alexandre,
ni rechercher le rivage absolu.

حَدَّدْتُ كُلَّ مَرَحَلَةٍ
فِي كُلِّ مَسَاءٍ
أَمَامَ جِبْهَةِ الرِّيحِ وَالْأَشْجَارِ الْمُسَلِّمَةِ
جَنَّبًا لِدَارٍ بَارِزَةٍ مِنَ اللَّيْلِ،
وَسَاوَرْتَنِي - كُلَّ مَرَّةٍ -
السَّعَادَةُ
وَأَكْثَرَ مِنْهَا
التَّصَافِي .

J'ai borné chaque étape
à chaque soir
sur le front des vents et le salut des arbres
près d'une maison surgie de la nuit,
chaque fois envahi,
heureux
et plus encore :
réconcilié.

هو

LUI

تَمَّتْ بِلَادُنَا وَأَنْتَ أَفْلٌ
بَيْنَ سَلَاحِفِ اللَّيَالِي،
انْطَفَأَتْ سَفِينَةٌ
فِي الْمَرْفَأِ الْأَخِيرِ
وَأَخْتَارَ دَمْعُنَا لِمِيعَادِ السُّكُونِ
بُحَيْرَةً مِنْ زُبُقِ اللَّيَالِي.

Notre pays s'achève à l'heure où tu déclines
parmi les tortues de la nuit,
un navire s'éteint
au dernier port,
nos larmes ont choisi, pour le rendez-vous du silence,
un lac mémoire et mercure des nuits.

تَرَكَتْكَ وَاطِئًا عُشْبَ عَاصِمَةٍ مُقْفِرَةٍ
وَحوَلَ عَيْنَيْكَ
تَنْسُجُ عَنْكَبُوتٌ حَائِرَةٌ
قِنَاعَ الْخَلِيقَةِ يَوْمَ تَفِرُّ إِلَى الْآخِرَةِ.

Je t'ai laissé foulant l'herbe d'une capitale dévastée
tandis qu'autour de tes paupières
une araignée trame, indécise,
le masque de la créature au jour de sa fuite vers
l'éternité.

بَيْنَا كَانَ الْعُصْفُورُ مَاشِيًا عَلَى الْمِيَاهِ الْمُتَجَلِّدَةِ،
صَرَخَتْ شَجَرَةٌ فِي صَمْتِ الْأَرْضِ كُلِّهَا،
مُنَادِيَةً بِالذِّكْرِيَّاتِ وَالظُّلَالِ،
وَوَطَّلَعَ مِنْ أَعْمَاقِ الْجَزَائِرِ الْمَفْقُودَةِ
الْبَدْرُ الْأَخِيرُ الْمُؤَذِّنُ بِنَهَايَةِ النَّوَايَا.

L'oiseau frêle marchait sur les eaux gelées...
Un arbre a crié, trouant le silence de la terre entière,
pour convoquer les souvenirs avec les ombres,
et monte alors, depuis les profondeurs des îles
abandonnées,
la lune, la dernière, sonnant la fin de toute volonté.

فِي مَعَادِنِي يَسْتَجِيرُ الْمَرَامُ
نُورَ ضَيْفٍ لَمْ يَبْقِ مِنْ مَعَانِي سِوَاهُ،
وَكُلُّ وَقْتٍ مَقْضِيٍّ عِنْدَهُ
شَيْءٌ مَقْضِيٌّ عَلَيْهِ بِالْمُرُورِ،
وَتَحْتَ الرِّيحِ الطَّوِيلَةِ
المُوسُوسَةِ مِنْ أَعْلَى قِيَابِ العُنُقُوانِ،
تَحْتَ الشُّمُوسِ المُحْتَضِرَةِ فِي حِصَارِ اللَّيَالِي،
لَمْ تَبْلُغْ صَيْحَتِي إِلَّا صَيْحَةً أُخْرَى،
وَهِيَ أَلْفَاظُ الوَفَاءِ المَذْبُوحَةِ.

Du fond des mines où je vis, le désir appelle
à son aide
la lumière d'un hôte qui, de mes signes secrets,
ne laisse rien subsister que lui-même.
Tout moment passé près de lui
se voit mourir de n'être que passage,
et sous le très long vent
qui vient me perdre, insidieux, depuis les hautes
coupoles de la jeunesse,
sous les soleils mourants de mes nuits assiégées,
mon cri n'a rencontré qu'un autre cri,
que les mots égorgés du serment.

كَانَ الرَّجُلُ الشَّائِخُ
يَضِلُّ فِي بَوَادِي الْبَحْرِ الْأَبْهَمِ
وَبِيَدِهِ يَدُ الْوَلَدِ الْمَفْقُودِ
وَبِيَدِ الْوَلَدِ
كُرِيَّةٌ مُتَلَوْنَةٌ،
وَفَجْأَةً صَارَتِ الْكُرِيَّةُ
وَلَدًا آخَرَ
مُسَمًّى بِالنُّورِ،
يَتَوَلَّدُ مِنْ أَعْمَاقِ النَّفْسِ الْأَزَلِيَّةِ.

Le vieillard qu'il serait bientôt
errait aux bords déserts d'une mer muette.
Sa main tenait la main de l'enfant disparu,
et celle de l'enfant
une bille de mille couleurs.
Tout à coup elle devint
un autre enfant
dont Lumière était nom,
né au plus lointain de l'âme première.

كَانَ سِنْدِبَادُ الْحَمَّالُ يَتَكَلَّمُ عَنْ جَزَائِرِي
فَرَأَيْتُ الْكُلَّ وَالْكِيَانَ وَقَوْسَ الْمَطْرِ
الْمُمْتَدَّةَ مِنْ قَعْرِ الْبَحْرِ إِلَى قِمَّةِ الصَّوَارِي
وَزُوبَعَةَ الْقُبُورِ وَالْقَمَرَ
وَأَعْيُنَ مَوْتَايَ فَوْقَ الصَّنُوبَرِ.

Sindbad le portefaix parlait de mes îles
et je vis alors le tout, l'être et l'arc de la pluie
tendu depuis le fond des mers jusqu'au sommet
des mâts,
la bourrasque lunaire des tombes
et les yeux de mes morts à la cime des pins.

كُلَّمَا ظَمِيَ النَّهْرُ وَرَجَعَتْ
رِيَّاحُ التَّعَبِ وَالْفُقْدَانِ،
انْصَرَفَتْ إِلَى البُسْتَانِ
وَتَسَلَّقَتْ شَجَرَةَ المَوَاسِمِ المَجْهُولَةَ
لِتَتَأَمَّلَ الوَرَقَةَ الشَّفَّافَةَ
الَّتِي تَسْتَشْفِئُ عَلَيْهَا
مَجْرَى نَهْرٍ آخَرَ
يَقْظَانِ . . .

Lorsque avec le fleuve assoiffé revenaient
les vents de fatigue et d'absence,
tu t'éloignais vers le jardin
et grimpant à l'arbre des saisons inconnues
tu contempiais la feuille translucide
où tu déchiffrais
le cours d'un autre fleuve
en éveil...

أَنَا الْآنَ طَارِقٌ
أَكْمَلَ الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَيْكَ،
أَنَا الْآنَ ضَامِنٌ
الْغَلَّةَ الْأَخِيرَةَ،
أَنَا الْآنَ غَافِلٌ
عَنْ كُفْرَانِ الْأَمْسِ وَالْغَدِ،
لِأَنِّي أَسِيرُ الْآنَ
فِي كُلِّ الطَّرِيقِ الَّتِي أَدِينُ لَكَ بِهَا.

Maintenant je foule
la route parfaite qui mène jusqu'à toi,
maintenant j'assure
la dernière récolte,
maintenant j'oublie
l'impiété d'hier et de demain,
puisque maintenant je foule
tous les chemins que je te dois.

«فَكَيْفَ بِلَا حُبِّ نُسَافِرُ فِي الْبَحْرِ؟»

(تيوفيل غوتيه)

«مِثْلَ سَفِينَةٍ تَلْتَهَبُ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ...»

(مؤلف فرنسي مجهول، القرن ١٦)

ذَهَبَتْ... يَمُوتُ كُلُّ مَوْجٍ وَمَرْمَرٍ،

فِيَصْرُخُ تَمَّ تَحْتَ فَجَاءَةِ خَنْجَرٍ،

وَجُهْدٍ أَخِيرٍ فِي جَنَاحِ مُسَمَّرٍ...

وَكَيْفَ بِلَا حُبِّ نُسَافِرُ فِي الْبَحْرِ؟

ذَهَبَتْ فَأُضِعَّتْ حَمَامُ الْمَنَائِرِ...

وَكَيْفَ بِلَا حُبِّ نُسَافِرُ فِي الْبَحْرِ؟

ذَهَبَتْ وَكُلُّ مُصْحَفٍ نَصُّ مَقْبَرِي،

حُرُوفُهُ أَجْيَافٌ تُوقَعُ بِالنَّارِ،

وَجُوهُهُ أَطْيَافٌ عَدَتْ بَيْنَ أَسْطُرٍ...

وَكَيْفَ بِلَا حُبِّ نُسَافِرُ فِي الْبَحْرِ؟

ذَهَبَتْ... وَلَمْ يَبْقَ سِوَى زَنْبِقٍ مُرٍّ

وَبَاخِرَةٍ غَبْرَاءَ تُحْرَقُ فِي الْبَحْرِ.

Mais comment sans amour s'en aller sur la mer ?

Théophile Gautier

Comme un vaisseau qui brûle au milieu de la mer

Anonyme français, xvi^e siècle

Tu es parti... Tous les prés, tous les marbres se
meurent,

Un cygne crie sous la surprise du poignard
et le dernier effort de son aile clouée...

Mais comment sans amour s'en aller sur la mer ?

Tu es parti... la foudre frappe, aux minarets, les
colombes...

Mais comment sans amour s'en aller sur la mer ?

Tu es parti... chaque livre devient le texte de ma
tombe,

les lettres, des cadavres estampillés de feu,
les pages, des fantômes courant entre les lignes...

Mais comment sans amour s'en aller su la mer ?

Tu es parti... un lys amer est tout ce qui me reste,
avec un bateau gris qui brûle su la mer.

يَا غَائِبِي
هَلْ تَرْجِعُ يَوْمًا مَا
مِنْ أَرْضِ الْجُمُودِ وَالْعَادَاتِ،
هَلْ تَخْرُجُ حَيًّا
مِنْ قَاعِ الْوَادِي الْمَجَلَّدِ؟
فَأَنْقَشَعَ الْكَابُوسُ
وَأَنْتَ قُدَّامِي
حَوْلِي
فِيَّ
حَاضِرٌ
لِنُشْيٍ مِنْ لَا شَيْءٍ
أَوْقَاتًا تُمَاتُكَ .

Ô mon absent
reviendras-tu un jour
du pays inerte où tout est coutume,
surgiras-tu vivant
au fond des fleuves que nous avons laissés geler ?
Mais le cauchemar se dissipe,
tu es là devant moi
autour de moi
en moi
présent
pour faire de rien
des moments qui te ressemblent.

يَا بُنَيَّ أَنْظِرْ إِلَى هَذَا الْحِصَانِ
الَّذِي يَمُرُّ طَيْفُهُ عَلَى الزُّجَاجَةِ الصَّفْرَاءِ الْمُعَفَّرَةِ،
مِثْلَ حُلْمٍ جَامِدٍ، أَوْ ذِكْرِي، أَوْ نَدَامَةٍ،
لَا يَعْرِفُ بَلَدَهُ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا (رُبَّمَا) بَلَدًا وَاحِدًا
وَهُوَ ذَرِّي فِي مَأْمَنِ مِنْ كُلِّ ذَرِي،
هَذَا الْحِصَانُ السَّعِيدُ أَمَامَ الْيَقِينِ الْآتِي :
أَنَا وَمَوْتِي الْمَجْهُولُ .

Regarde, mon enfant, ce cheval qui passe au galop,
ombre sur la poussière d'un verre jauni,
rêve inerte, souvenir ou regret.
Il ne se connaît pas de pays ici-bas,
sauf un peut-être,
refuge à l'abri des refuges.
Ce cheval heureux de la certitude qui vient,
moi et ma mort inconnue.

يُسَدُّ السَّتَارُ عَلَى مَسْرَحِ غِيَابِكَ
أَوْ غَيْبِكَ،
وَفِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ
طَلَعَتِ الْجَلْبَةُ
كَأَنَّهَا كَرِهَتْ سَمَاعَ اسْتِغَاثَةِ الرَّاحِلِ .
اِظْمَأَنَّ يَا رَاحِلُ :
هَذَا الصَّخْبُ لَا مَعْنَى لَهُ
لِأَنَّ اللَّهَ يَضْمُتُ لِلْإِسْتِمَاعِ إِلَيْكَ .

Le rideau tombe sur la scène de ton absence
ou ton mystère
et la ville en ses rues
pousse haut son tumulte
comme pour se fermer au cri du voyageur.
Sois en paix, voyageur,
ce vacarme ne veut rien dire
puisque Dieu fait silence pour écouter ta voix.

لَمَّا أَتَى زَمَنُ بَعْمَالِ الشِّتَاءِ
وَبَدَتْ رُسُومُ السَّنِّ فِي زَبَدِ السَّمَاءِ
وَبِأَوْجِهَا لَمَعَانُ ذِكْرِي قَاهِرَةٌ
تَمَزَّقُ الْأَشْعَارُ عِنْدَ لِقَائِنَا
وَضِيافَةَ الْمَوْتَى لِأَنَّهْمُ الضَّمَانُ.

Lorsque le temps ramène les ouvriers de l'hiver,
quand l'écume du ciel laisse voir les signes de
notre âge
et son faîte l'impérieuse lueur d'un souvenir,
le poème se défait dans la rencontre
et l'hospitalité des morts, nos garants.

إلى جرير وإلى لوك شامبو

كُنَّا رُعَاةَ النُّجُومِ فَوْقَ غَابَاتِ الْغُورِ،
رَأَيْنَا شُهَبًا مُسَلَّخَةً بِخَوْفٍ وَكِبْرِيَاءِ،
شَهَدْنَا أَقْمَارًا مُبَالِغَةً فِي الْعُنْجِ وَالذَّلَالِ .
زُرْنَا الْهُوَى وَمَاءَ الْقُرُونِ الْمُتَجَمِّدَةِ،
صَاحِبْنَا حَيَاتِكَ مِثْلَ جَذْوَلِ أَبْكُمْ،
وَلَمْ نَرَ السَّيْمَةَ الْمَكْتُومَةَ وَرَاءَ الْأُفُقِ،
وَاحْسَرَتَا، نَحْنُ عُمِّي،
نَحْنُ أَبْوَامٌ تَجَاهَ شَمْسِ الْمَوْتِ .

à Jarîr et Luc Chambost

Nous étions bergers des étoiles postées sur les taillis
du Ghor,
nous avons vu des météores armés d'effroi et
d'orgueil,
des lunes et leurs excès de grâces maniérées,
nous avons visité les gouffres et l'eau des siècles
pétrifiés,
accompagné ta vie comme un ruisseau muet...
et rien du signe tapi par delà l'horizon,
ah ! misère de nous, aveugles,
chouettes devant le soleil de la mort !

جَاءَ مَوْسِمُ النَّيْرَانِ
فِيحْرُقُ الْخَرِيفُ الْحَشَائِشَ
وَيَطْلُعُ طَوْقُ دُخَانِهَا
حَوْلَ سُورِ الْمَدِينَةِ
فَحِينِيذٍ، فِي هَذَا الْمَوْطِنِ الْمُنْحَرِفِ عَنِ سَائِرِ الْعَالَمِ،
سَمِعْتُ نِدَاءً وَعَلِمْتُ
أَنَّهُ يَنْقُلُ حَشْرَجَةَ الْأُغْنِيَّةِ الْمَقْتُولَةِ.

Voici venue la saison des feux,
l'automne brûle les herbes sèches
dont la fumée monte en collier
aux remparts de la ville...
Alors, dans cette partie dérivant hors du monde,
j'ai entendu un cri, et su qu'il me disait
l'ultime souffle de la chanson assassinée.

إلى كلود إستيبان

أَلَا تَرَى السَّهْلَ ، سَهْلِي ،
الَّذِي هَجَرَهُ
كُلُّ شَجَرٍ وَنَبَاتٍ وَصَخْرٍ
سِوَى ، فِي وَسْطِهِ ،
عَلَى ذُرْوَةِ نُجُودٍ مُنْفَرِدَةٍ ،
الرُّخَامِ الْخَالِصِ مِنَ النَّسِيَانِ ،
أَعْنِي هَذَا الْمَكْتَبَ الَّذِي مَا زِلْتُ كَاتِبًا عَلَيْهِ
أَنَّكَ مَا زِلْتَ زَائِلًا .

à Claude Esteban

Vois-tu cette plaine, ma plaine,
d'où a fui toute trace
d'arbre, de plante et de rocher,
hormis en son centre
où s'élève sur un tertre isolé
le marbre pur de tout oubli,
cette table où je n'en finis plus d'écrire
que tu n'en finis plus de ne plus être là ?

إلى جاكين دو رومي

قَالَ الْحَكِيمُ الْقَدِيمُ :
فِي السَّلَامِ يُقْبَرُ الْأَبْنَاؤُ آبَاءَهُمْ ،
فِي الْحَرْبِ يُقْبَرُ الْأَبَاءُ الْأَبْنَاؤُ . . .
وَأَنَا - فِي أَيَّةِ حَرْبٍ ضَلَلْتُ ؟

à Jacqueline de Romilly

Le vieux sage a dit :
la paix voit les fils ensevelir leurs pères
et la guerre les pères ensevelir leurs fils...
mais moi, en quelle guerre me suis-je fourvoyé ?

عِنْدَمَا شَكَّتُ فِي بَقَائِي وَبَقَائِكَ،
الْتَفْتُ إِلَى هَضْبَتِي فَأَجَابَتْ :

لَا تَخَفْ

لَا تَخْشَ

لَا تَهْلَعْ،

سَأَكُونُ أَنَا هُنَا دَائِمًا .

Quand je viens à douter de ma survie, de la tienne,
je retourne à ma terre, là-haut, à sa voix :
n'aie pas peur
ne crains pas
sois en paix,
ici, moi, pour toujours, je serai.

يَا عَهْدَ الظُّلْمَةِ الْمُنتَظَرَةِ،
يَوْمَ فَاتَتْني النُّجُومُ،
لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْتَ
يَوْمَ أَبْتَعَدَتِ الكَلِمَاتُ.

Promesse de la nuit attendue
quand m'échapperont les étoiles :
plus rien ne demeure que toi
au jour où les mots disparaissent.

وداع

Pour un adieu

فَاضَتْ مِنْ ذَاكَرَتِنَا
أَسْمَاءُ أَنْهَارٍ وَبِحَارٍ
مَنْسِيَّةٌ مُنْذَ الْأَزَلِ
فَكَشَفَتِ السَّمَاءُ
عَنِ السَّحَابَةِ الْأَخِيرَةِ
سَحَابَةَ الشَّفَاعَةِ .

Montent à notre mémoire
Des noms de fleuves et de mers
Oubliés depuis toujours
Alors le ciel dévoile
Le nuage dernier
De toute intercession.

تَنْقُصُنِي الْكَلِمَاتُ، يَا صَدِيقِي
وَلَمْ يَبْقَ فِي رُوحِي
سِوَى صَوْتِ جَامِدٍ
يَعْجِزُ عَنْ احْتِضَانِ أَصْدَاءِ الْمَاضِي
الَّتِي كَانَتْ تُحَاوِرُهُ
فِي أَقْصَى قِمَمِ اللَّقَاءِ.

Les mots me manquent, ami,
il ne me reste plus, corps,
âme et peau,
qu'une voix muette et glacée
privée des échos d'autrefois
sur la plus haute cime des rencontres.

خَضْرَاءَ كَانَتْ الْأَحْلَامُ
فَوْقَ الْمَرَسَى
حَيْثُ يَجْرِي وَجْهُكَ مَعَ الْأَمْوَاجِ
حَتَّى الصَّحْرَاءِ
وَأَنَا أَقْتَفِي أَثَرَهُ،
بَيْنَمَا هَذِهِ الضَّفِيرَةُ اللَّامْتَنَاهِيَةُ الْمُسَمَّاءُ بِالْبَحْرِ
تُسَلِّينِي.

Vert était le rêve
à l'aplomb du port...
Ton visage glissait des flots
jusqu'au désert
je suivais sa trace et me consolais
à ces tresses sans fin que
l'on nomme la mer.

في بلادِ الأندلسِ
كانَ اليومُ آخرَ الأيامِ
والليلُ من ساحةِ الحمراءِ
يُسيطرُ على العالمِ كُلِّهِ

في بلادِ الأندلسِ
أنوحُ على الصديقِ المُفتقدِ
وأبكي على نفسي
في طريقي إليه.

Au pays d'Andalousie
un jour qui fut le dernier jour
les ténèbres vinrent de l'Alhambra
sur l'univers déverser leur emprise
et je pleurais l'ami disparu...
ou moi-même, qui marchais vers lui.

دَعَا الصَّدِيقَ
إِلَى بُحَيْرَةِ الْأَسْرَارِ
فَمَشِيَ لِيَجِدَهَا مُتَبَيِّسَةً
فِي قَعْرِهَا قَبْرٌ مَجْهُولٌ
وهذه الكلماتُ :
أنتما الآنَ هنا مُجْتَمِعَانِ . . .

Il invita l'ami
au lac des secrets
Ils allèrent... plus rien,
sur le fond desséché
une tombe inconnue et ces mots :
ici vous vous retrouvez...

كَيْفَ يَكُونُ الصَّبَاحُ الْمُجَرَّدُ مِنَ الْخَشْيَةِ
أَوْ غُرُوبٌ بِلا اُمْتِنَانٍ؟
قَطَفْنَا مِنَ الْأَيَّامِ - يَا صَدِيقِي -
الميراثَ المكتوبَ
وما زالَ الجَبَلُ وَاقِفًا
والمَطَرُ أُسِيرَ الغُيُومِ
وأملُ الإنسانِ كَلامٌ مَنسِيٌّ
ولكن . . . في مِرَاتِنَا
عِشْنَا سَعِيدَيْنِ .

Imagine-t-on un matin libre
de toute crainte,
un couchant avare de quelque faveur ?
Nous avons, ami, recueilli
l'héritage prescrit
la montagne est toujours debout
la pluie prisonnière du nuage
et l'espérance des hommes
parole oubliée
mais nous avons tous deux
vécu heureux
dans notre miroir.

أَهَابَ دَسَائِسَ النَّخْلَةِ
حَيْثُ تُحَدِّثُنِي عَنْ مُسْتَقْبَلِ الْوَيْثَامِ
لَأَنِّي أُدْرِكُ
أَنَّ النَّخْلَةَ سَتَمُوتُ.

Je crains le palmier, il me tente
quand il me parle de paix à venir
je sais trop bien, moi,
que le palmier mourra.

مَنْ هُوَ الَّذِي يَجْرؤُ عَلَيَّ الْاَدْعَاءِ
بِأَنَّ اللَّحْظَةَ الْاُولَى كَانَتْ نَعِيًا لِلْمَوْتِ؟
لَا يُصَدِّقُهُ الْطِفْلُ الشَّاعِرُ
لِأَنَّهُ مُوقِنٌ بِأَنَّ الْقَصِيدَةَ
سَتَكُونُ تَحْلِيْقَهُ
نَحْوَ النَّجْمَةِ الْمُحَصَّنَةِ.

Qui donc osa prétendre
que le premier instant
était messenger de la mort ?
L'enfant poète n'en croit rien
sûr de trouver en ses vers l'envol
au rempart serein de l'étoile.

لَمْ تَعُدِ الشُّمُوسُ وَالرِّيَّاحُ قَادِرَةً
عَلَى مَسْحِ ظِلِّ الْعُصْفُورِ
وَهُوَ يَزُورُ يَوْمِيًّا
شَاعِرًا يَنْتَظِرُهُ فِي قَبْرِهِ.

Vents et soleils ne suffisent plus
à effacer l'ombre quotidienne
du moineau
en sa visite à la tombe où l'attend
chaque jour
le poète.

بَيْنَ مَدَارِجِ الْجِبَالِ
وَقَفْنَا لِنُبْصِرَ الْأَرْوَاحَ الطَّالِعَةَ
مِنْ غَرْبِ الْأَوْهَامِ الْمَيِّتَةِ
وَفَجَاءَتْ تَحْتَ أَقْدَامِنَا
انْشَقَّ جِلْدُ الْأَرْضِ
لِيَطْفَحَ مِنْ أَغْوَارِهَا
حِجَابٌ أَسْوَدٌ
يَرْتَعْشُ بِرِيحِ الْفَضَاءِ!

Sur les gradins de la montagne
nous avons suspendu notre marche
pour observer les âmes qui montaient
à l'occident des illusions mortes...
Tout à coup à même nos pieds
la peau déchirée de la terre entière
nous a révélé en ses profondeurs
un voile noir
qui frémissait au vent du néant.

وُلِدْنَا مِنْ بَلَدٍ آمِنٍ
يَتَدَخَّرُ مَعَ بَلُوْطِهِ مِنَ الْهَضْبَةِ إِلَى الْخَلِيْجِ
هُوَ وَعَدُّ الْقُرَى وَالْأَمَاكِنِ
بِفَضْلِ نُجُومِهِ هَدَانَا لِدَوْرَانِ
الْأَنْهَارِ وَالْبَسَاتِينِ
وَعَرَقِ الْأَرْضِ
لِصَيْفِ
الْخُلُودِ.

Nous sommes nés d'un pays
serein et secret
qui dévale avec ses chênes du plateau
vers la mer
Il porte la promesse des lieux et des villages
et par la grâce de ses étoiles nous guide
au tournoiement des jardins et des fleuves
à la terre en travail pour les étés
de l'à - jamais.

جَاءَ وَقْتُ الصَّرَاطِ
إِلَى أَضْلِ الْمِيَاهِ السُّفْلَى
فَصَارَ الرَّجُلُ
صَبِيًّا جَاهِلًا وَبَرِيئًا
لَمْ يَعُدْ يَعِي الْأَسْتِدْلَالَاتِ وَالْعَوَالِمِ
وَلَا حَتَّى الْمَعْرِفَةِ
وَلَا يَرَى فِي شَيْخُوخَةٍ وَجُودِهِ
سِوَى السُّنُونُو
فِي سَمَاءِ
الْقِيَامَةِ.

Vient l'heure du chemin
vers la verité des eaux premières
l'homme se retrouve
enfant ignorant - innocent
il ne sait plus rien
des mondes, des repères
ni du savoir
il ne voit au déclin de sa vie
qu'une hirondelle au ciel de la résurrection.

عُودِي، عُودِي يَا كَلِمَتِي
وَأُنْعِمِي عَلَيَّ بِذِكْرِي مَطْلَعِ الْفَجْرِ
وَقْتِ تَحْتَشِدُ الْمَلَائِكَةُ
حَوْلَ جَزِيرَةِ الْوِلَادَاتِ!

Reviens, reviens, ô ma parole,
ne me refuse pas le souvenir
de l'aube première
quand les anges se réunissaient
autour de l'île où tout s'enfante.

تَنْسُجُ الشَّجَرَةُ أَخْلَامَهَا
رُؤْيِدًا رُؤْيِدًا
وَمِنْ سُمْوٍ أَوْرَاقِهَا
ثَمَّةَ حَمَامَةٍ غَبْرَاءُ
تَنْدُبُ دَوْمًا
عَلَى الْحُلْمِ الْمَوْلُودِ.

L'arbre tisse ses rêves
tout doucement
cependant que sur la plus haute feuille
une colombe grise pleure
à chaque fois
le rêve nouveau-né.

أُظْفِئَتِ الْبَرَاءَةُ
شُمُوسُهَا انْفَلَقَتْ
عَلَى مَدِّ الْبَوَادِي الْمُوَحِّشَةِ
وَالْمُدُنِ الْخَالِيَةِ
مِنْ كُلِّ حَائِطٍ حَنُونٍ.

L'innocence s'éteint
ses soleils explosent
sur l'indifférence des steppes
et de villes où disparaît
le moindre mur compatissant.

صِرْنَا أَشْبَاحًا لَا يَرَانَا أَحَدٌ
حَتَّى لَوْ مَرَرْنَا فِي الْمَرَايَا
وَالْأَطْيَافِ
تَنُقَلُّنَا مُعْجِزَةُ اللَّحْنِ النَّادِرِ
مِنْ أَوْجِ الْإِنْتِشَاءِ
إِلَى اللَّاشِيءِ
أَوْ إِلَى مَا وَرَاءَ الْبِحَارِ.

Nous voici spectres invisibles
même au travers des miroirs
ou des songes
emportés que nous fûmes
par le miracle d'une note unique
de la plus haute extase
au néant
ou à l'au-delà de la mer.

في ذكرى المتنبي

إِذَا لَمَعَتْ أَيْبَاتُكَ
أَيْهَا الشَّاعِرُ
وَتَحَوَّلَ حَبْرُهَا إِلَى بَيَاضٍ
فَأَيْنَ تَخْتَبِي الْكَلِمَةُ
الَّتِي أَحْتَاجُهَا
لَاخِرَتِي؟

Si tes vers, ô poète,
resplendissent si fort
que l'encre en devient presque blanche
où donc se cache le mot
nécessaire à mon éternité ?

ثَقِيلَةٌ هِيَ الْخَطْوَةُ
وَالسَّبِيلُ وَعِزٌّ
إِلَى النَّجْمَةِ الضَّائِعَةِ
وَالرَّحْمَةِ عَلَى أَنْتَظَارِ أَبَدِيٍّ
سُقُوطٌ يَتْلُو الْآخَرَ
وَالطَّرِيقُ طَوِيلٌ
لِلِقَاءِ الرَّحْمَةِ الْأَخِيرَةِ.

Le pas est lourd
et la voie difficile
à l'étoile perdue
la miséricorde sans cesse attendue
une chute après l'autre
la voie est longue
jusqu'à la miséricorde dernière.

إِلَى أَيْنَ تُؤَلِّي الْغَيْمَةَ بِوَجْهِهَا
عِنْدَمَا تُنَوِّحُ الرَّمَالَ وَالْحَصَى
عَلَى بِحَارٍ هَجَرَهَا الْمَاءُ
أَيْنَ تِلْكَ الْقَلْعَةُ الْمُسَيَّرَةُ عَلَى النَّهْرِ؟
أَجَابَ الْمَلَكُ:

إِيَّاكَ أَنْ تَعْرِفَ الْعَتَبَاتِ وَالْأَبْوَابِ
فَكُلُّ مَا تَعْرِفُهُ هَبَاءٌ وَتِيَّةٌ
لَكِنَّهُ هُوَ ذَا مَجْدِكَ وَمَقَامِكَ.

Où va le nuage
tandis que sable et galets
pleurent les mers asséchées ?
Où est la citadelle qui dominait
le fleuve ?
L'ange répond : garde-toi de connaître
les seuils et les portes
Tout ce que tu sais est désert
mais il est ta place et ta gloire.

يَوْمًا مَا سَوْفَ تَأْبَى الشَّمْسُ
الْعَوْدَةَ إِلَى الْغَرْبِ
سَتُحْرَقُ الْأَرْضَ
حَتَّى آخِرِ الدُّودِ
سَيَسْأَلُ النَّاسُ :
أَهِيَ نِهَائَةُ الْأَزْمِنَةِ؟
فَيُجِيبُ صَوْتٌ :
أَلَمْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِهَا مُنْذُ بَدَايَةِ الْخَلِيقَةِ؟

Viendra un jour où le soleil
ne voudra plus regagner l'occident
et brûlera la terre
jusqu'au dernier ver. .
Les hommes alors demanderont :
est-ce la fin des temps ?
Et une voix répondra :
n'y avez-vous pas travaillé
depuis le commencement du monde ?

وداع

Pour un adieu

La mer, l'unique mer...
la mer appesantie d'un mot...
la pesanteur d'un mot
né de la mer...

الْبَحْرُ... الْبَحْرُ الْوَحِيدُ...
الْبَحْرُ الْمُثْقَلُ بِكَلِمَةٍ...
ثِقَلُ كَلِمَةٍ مَوْلُودَةٍ مِنَ الْبَحْرِ...

Ce pays partout en moi,
cette terre qui m'invite à partager
non pas tant ce qu'elle me donne :
ce qu'elle est.

فِي كُلِّ مَسَامَاتِ بَدَنِي تَسْكُنُ الْأَرْضُ
هَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي تَدْعُونِي
إِلَى الْمُقَاسَمَةِ
لَيْسَ بِمَا تَنَعَّمُ عَلَيَّ
بَلْ بِكَيْفُونَتِهَا.

Un plein d'arbres à la crête du vent
l'aire aux illusions
l'herbe d'où toute peur a fui...
Et moi attendant, seul, dans la paix,
le mot qui n'est pas venu.

اِحْتَشَدَ الشَّجَرُ عَلَى قِمَّةِ الرِّيحِ
الفناءُ مَرَبُطُ الأَوْهَامِ
والأعشابُ التي فَرَّ مِنْهَا الخَوْفُ
وأنا في الوئامِ مَعَ وحدتي
لا زلتُ أترَقَّبُ الكلمةَ
التي لَمْ تَأْتِ .

La vigne où j'ai planté ma route
s'abrite en longues sentinelles
jusqu'au bout jusqu'à ce dévers
où nous attend
sûr de lui et de nous
l'assentiment promis de l'automne.

غَرَسْتُ طَرِيقِي فِي كَرْمٍ
يَحْتَمِي بَيْنَ خُفْرَائِهِ الْمُتْرَاصِينَ
إِلَى أَسْفَلِ الْمُنْحَدَرِ
حَتَّى نِهَآيَةِ الْمَطَافِ
حَيْثُ تَنْتَظِرُنَا هُنَاكَ
هَوَاجِسُ الْخَرِيفِ الْمَوْعُودَةُ.

Le vieil homme cheminait par
la montagne,
il vit soudain ceux qu'il avait aimés
debout, là, et lui souriant,
il cria : « Est-ce bien vous ?
Mais je vous croyais morts ! »
et eux : « Mais non, puisque tu es là ! »

كَانَ الْعَجُوزُ يَمْشِي عَلَى طَرِيقِ الْجَبَلِ
حِينَ رَأَى أَمَامَهُ فَجَاءَهُ
مَنْ أَحَبَّهُمْ
مُسْتَقْبِلِينَ مُبْتَسِمِينَ
فَصَاحَ : « هَلْ أَنْتُمْ حَقًّا مَا أَرَى ؟
كُنْتُ أَتَصَوَّرُكُمْ فِي عَدَادِ الْمَوْتَى ؟ »
فَأَجَابُوهُ : « كَيْفَ ذَلِكَ ، وَأَنْتَ مَائِلٌ أَمَامَنَا . »

Tardive honte à l'approche du soir
Nous avons trop espéré de
la première heure
quand le vent soufflait sous nos
pieds égarés
et nous masquait l'heureuse
l'absolue minéralité du vivre.

خزِي مُتَأَخِّرٌ
على اقترابِ المساءِ!
لقد أَفْرَطْنَا في رجاءِ الساعَةِ الأولى
حِينَ هَبَّتِ الرِّيحُ
تحتَ خطواتِنَا الضالَّةِ
وَحَجَبَتْ عَنَّا
اغْتِيَاظَ الكَوْنِ
وَسَدَّاجَتَهُ المُطَلَّقةَ.

La tramontane abdique sa force
et moi, sur cette terre abandonnée...
La nouvelle nous est venue
d'une insulte vieille comme le monde
l'ombre se fâche et le feu,
la mort même
... apaiser la mer.

تَنَازَلَتِ الشَّمُولُ عَنْ قَوَاهَا
وَأَنَا بَاقٍ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ الْمَهْجُورَةِ
جَاءَنَا نَبَأٌ
إِهَانَةٌ تَنْتَمِي إِلَى مَجَاهِلِ الْأَزْمِنَةِ
فَاغْتَاظَتِ الظَّلَالُ وَالنَّارُ
وَحَتَّى الْمَوْتُ
فَلَا بُدَّ مِنْ تَهْدِئَةِ الْبَحْرِ.

La ferme abandonnée
près de la draille...
le soleil fuit les fenêtres béantes
pour plonger au puits
où sa chaleur ravive
les spectres de la terre répudiée.

المَزْرَعَةُ المُهْمَلَةُ
قُرْبَ طَرِيقِ الأَعْنَامِ
تَجْتَنِبُ الشَّمْسُ النَوَافِذَ النَجْلَاءِ
لَتَغْطِسَ فِي البُئْرِ
كَيْ تُخَيِّبَ حَرَارَتُهَا
أَطْيَافَ الأَرْضِ المُطَلَّقةِ .

Dans la forêt près de l'étang
l'ombre recule d'heure en heure
non pour laisser la place au jour :
pour découvrir à l'infini
l'antique espace où dansait
l'abeille prise dans la folie de l'astre.

في الغابةِ عندَ الغديرِ
تراجَعَ الظلامُ
ساعةً بعدَ ساعةٍ
لا يقصدُ إخلاءَ المكانِ للنَّهارِ
بل لاكتِّشافِ النهايةِ
الفضاءِ العتيقِ
الذي كانتْ ترقصُ فيهِ
النَّحلةُ المُحاصرةُ بِجُنونِ الكواكبِ.

Le prophète est venu
annoncer le soleil
Mais à supposer qu'il fût là,
qui d'entre nous l'eût reconnu ?

جاء النَّبِيُّ مُبَشِّرًا
بِرْجُوعِ الشَّمْسِ
ولكن... هَلْ حَقًّا عَادَتِ الشَّمْسُ
أَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَعْرِفْهَا أَبَدًا؟

Quand aux arbres se devine
le murmure d'une âme apaisée
alors naît une source nouvelle
et sous la nuit s'illumine la mer.

كُلَّمَا أَحَسَّتِ الْأَشْجَارُ
بِهَمْسِ رُوحِ آمِنَةٍ
وُلِدَتْ لَحْظَتِهَا عَيْنُ نَبْعِ مَاءٍ جَدِيدٍ
وَتَوَهَّجَ الْبَحْرُ تَحْتَ عَتَمَةِ اللَّيْلِ.

Mon fleuve en sa jeunesse
fût-il nuit ou jour
coulait prometteur d'une mer après l'autre
maintenant il se traîne
dans l'effroi de l'étang aux aguets.

في اللَّيْلِ أَمْ فِي النَّهَارِ
كَانَ نَهْرِي طَوَالَ شِبَابِهِ
وَعَدًّا سَائِلًا
يَصُبُّ فِي بَحَارٍ مُتَّابِعَةٍ
وَالْيَوْمَ، يَتَبَاطَأُ
فِي رُغْبِ الْغَدِيرِ الْمُتْرَقِبِ.

Aux temps premiers tout était veille
terre et cieux enfantement
la vie attente d'elle-même
et toute forme d'homme avant
que naisse Adam
Ne reste aux derniers temps
que le rêve de la source oubliée.

في البدءِ كانتِ الأزمنةُ يقظةً
والأرضُ والسماءُ تُنجبانِ
الحياةُ تنتظرُ
وكُلُّ إنسانٍ له شَكْلُ الأدمي
وهذا قَبْلَ ولادَةِ آدم
في نهايةِ الزمانِ
لَمْ يَبْقَ سِوَى
حُلْمِ عَيْنِ المَاءِ المَنْسِيَّةِ .

Les violons meurent sous les dards
des étoiles

le ciel aveugle l'hirondelle
la roche se dissout... et l'eau même
les cavernes se referment
le village n'est plus qu'un nom...
ainsi se perd notre pays.

تَمُوتُ الكَمَنجاتُ تحتَ سِهَامِ النجومِ
والسُّنُونو تُعميه السماءُ
يَتَفَسَّخُ الصَّخْرُ... والماءُ أيضاً
تُغَلَقُ الكهوفُ
ولم تُعد القريَةُ سِوى اسمٍ
هكذا يضيعُ بلدنا!

Si la source coule plus vive
si l'ami se montre au bout du chemin
si l'arbre mort chante encore
dans le vent
si la rivière garde fidèlement mémoire du vieux
pont effondré
si la roche du plateau promet
d'autres découvertes
alors l'enfant ne mourra pas.

إذا اشتدَّ سَيْلُ الْيُنَابِعِ
وَأَطَّلَ الصَّدِيقُ عَلَى طَرَفِ الطَّرِيقِ
وَمَا زَالَتِ الشَّجَرَةُ الْمَيِّتَةُ
تُغْنِي مَعَ الرِّيحِ
وَبَقِيَ النَّهْرُ يَحْفَظُ بِوَفَاءٍ
ذَكَرَى الْقَنْطَرَةَ الْخَرِبَةَ
وَبَشَّرَتْ صَخْرَةُ النِّجْدِ
بَاكْتِشَافِ جَدِيدِ
فَسَوْفَ لَنْ يَمُوتَ الصَّبِيُّ.

Dis-moi, pays, que veux-tu
que je sois ?
- Quitte- moi, pour me désirer
jusqu'à en mourir,
et c'est moi qui viendrai à toi.

أخبرني يا بلدي
كيف تُريدني أن أكون؟
- اهجرني كي تشتاق لي
حدّ الموتِ
حينها سأتيك بنفسي.

J'ai quitté mon pays
libre d'y être partout en même temps
à corps présent ou passager
de le consoler quand on le blesse
de le refaire à chaque fois qu'on le détruit
j'ai quitté mon pays pour mieux mourir de lui.

تَرَكْتُ بَلَدِي
كَيْ أَتَمَكَّنَ مِنْ مَلِاقَاتِهِ
فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ
فِي الْحُضُورِ وَالْغِيَابِ
أُوَاسِي جِرَاحَهُ
وَأُبْعَثُ الْحَيَاةَ فِي رُوحِهِ عِنْدَ مَقْتَلِهِ
تَرَكْتُ بَلَدِي كَيْ أَمُوتَ بِأَعْظَمِ الْحَنِينِ إِلَيْهِ .

Arrête et regarde l'hiver :
tout éphémère a disparu,
feuilles, chaleur o souffles de la mer
il ne reste plus que le ventre
 d'une terre pure
et ces oiseaux que tu vois du nord
 s'en revenant
pour écouter les morts.

قَفْ وانظُرْ إلى الشتاء!
كلُّ ما هو فَانٍ اضمحلَّ
حتَّى الأوراقُ والقيظُ وأنفاسُ البحرِ
لَمْ يَبْقَ سِوَى بَدَنِ الأرضِ الطاهرةِ
وهذه الطيورِ التي تراها وهي تعودُ من جهةِ الشمالِ
لتستمعَ إلى استغاثاتِ الموتى.

Nous avons requis les absents
loin de l'enclos des certitudes
Ces murs bâtis, vécus, donnés
à chaque trace de la mort
n'en pouvaient plus de nous attendre

Et nous repus de lieux devenus rites
nous avons porté murs et morts
à l'ailleurs du même pays
sur l'infini damier du causse
ou le sentier des résurgences

Partout nous avons rebâti
à l'aplomb de tous les silences
la maison vive.

Août 2005

اسْتَدْعَيْنَا الْغَائِبِينَ بَعِيداً عَنْ بَسَاتِينِ الْيَقِينِ
هَذِهِ الْجُدْرَانُ الْمَعْمَرَةُ، الْمَعَاشَةُ
الْمَعْطَاةُ لِكُلِّ أَثَرِ الْمَوْتِ
لَمْ تَعُدْ تَحْمَلُ انْتِظَارَنَا

وَبَعْدَمَا شَبِعْنَا مِنَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى طُقُوسٍ
نَقَلْنَا الْحَيْطَانَ وَالْمَوْتَى
إِلَى مَوْضِعٍ مِنْ نَفْسِ الْبَلَدِ
مُتْرَامٍ عَلَى مَا لَا نَهَايَةَ
وَحَيْثُ طَرَقَ الْإِنْبَاقُ
فِي كُلِّ الْإِتْجَاهَاتِ
نَصَبْنَا الْحِكْمَةَ الْمَتَوَازِيَةَ
وَجَدَدْنَا تَعْمِيرَ دَارِ الْعَيْشِ.

آب ٢٠٠٥

Au moment du dernier sursis,
Quand cet appareil transitoire
Cessera de vouloir, de croire
Sauf au versant où tou finit,
L'image se fera plus forte
D'un nuage vers le midi
Et du terroir où le vent porte
Le soleil de tous les oublis,
Sauf un, car ayant fait litière
Nous les voyageurs, les bannis,
De tout ce qui n'était pas dit
Ici même, entre ces barrières
De garrigue et de ciel poli,
Du fond de l'exil, mais fidèles,
Nos rêves nous auront appris,
Par la nostalgie d'un coup d'aile,
A nous suffire d'un pays.

Poème paru dans *Beau calcaire, notre mémoire*,
Pézenas, Domens, 200.

في ساعة التأجيل الأخيرة
حينما تكف هذه الآلة الزائلة
عن الإرادة والإيمان بكل شيء
ما عدا المنحدر الذي يصب في كل النهايات
ستكون الصورة بفائق قوتها
غيمة تتجه نحو الجنوب
وتربة تجيئها الريح محملة
بشمس كل النسيان

سوى واحدة
نحن المسافرين المنبوذين
عبثنا بكل ما لا يُقال
ها هنا، بين حواجز تربة باثرة وسماء مصقولة
تعلمنا

من أحلامنا الوفيّة
المنبعثة من غربتنا
ومن حينئذٍ تُنشط خفقة جناح
سنكتفي ببلدٍ وحيدٍ.

إلى أين؟
Vers où ?

Je ne saurai jamais pourquoi, en mes vieux, très vieux jours, je me retrouve sur un terrain où je m'étais aventuré par trois fois déjà*. Je ne sais trop, je ne sais plus... Peut-être, après tout, ai-je tiré prétexte de l'impossibilité, ici plus qu'ailleurs, d'une traduction littéraire, pour proposer un dialogue, in échange, voire un duo, comme on voudra.

* *Au mercure des nuits*, Paris, Sindbad, 1989; *L'enfant et la promesse*, Saint-Clément de Rivière, Fata Morgana, 1999; *Wadâ, pour un adieu*, Pézenas, Domens, 2008.

لن أعرف أبداً ما يجعلني أرتاد من جديد، في أيّام هرمي هذه، مجالاً سبق أن غامرت بارتياحه ثلاث مرّات من قبل^(١). لا أعرف حقّاً؛ لم أعد أعرف. قد أكون استمددتُ تعلّة من استحالة القيام، هنا أكثر ممّا في أيّ مكان آخر، بترجمة أدبية فاقترحْتُ [بين اللّسانين] حواراً، تبادلاً، أو نشيداً ثنائياً.

(١) إشارة إلى مجموعات المؤلف السابقة «في زئبق الليالي» (١٩٨٩)، و«الطفل والوعد» (١٩٩٩) و«وداع» (٢٠٠٨). وضع المؤلف هذه الديباجة بالفرنسية فقط، وصاغها هنا بالعربية كاظم جهاد.

A tous ceux qui m'ont aidé
à passer de l'autre côté de la mer

إلى جميع من ساعدوني
في العبور إلى الضفة الثانية للبحر.

حِينَ انْفِلاقِ الكونِ
واكتشافِ المجهولِ
سَأرى حياتي قصاصاتٍ مُبعثرةً
مِثْلَ جُزُرٍ تَجْهَلُها الخرائطُ .

Quand l'univers explosera
pour révéler l'inconnu,
je verrai les lambeaux éparpillés de ma vie
comme des îles absentes de toute carte.

الأرضُ والماءُ والسماءُ والشجرُ
هَلْ كُلُّ هَذَا وَهُمْ
أَمْ تَجَلَّى عَجْزِي
بِإِدْرَاكِ كَيْنُونَتِهَا؟

Terre, eau, ciel, mer...
tout cela n'est-il qu'illusion
ou preuve de mon impuissance
à saisir leur être profond ?

أعوذُ بشجرةٍ عاريةٍ
عندَ أبوابِ الخلودِ
أحنُّ إلى سماءٍ أبعدَ مِنْ كلِّ شمسٍ وأكثرَ بُعداً من قمرٍ
إلى لحظةٍ مجهولةٍ
وحسنةٍ لا تخجل
إلى كلمةٍ لم أتعلَّمها
إلى بيتِ أسرةٍ منسيةٍ
وسبيلٍ لا يُوصِلني إلى أيَّةِ مدينةٍ.

A mon secours, arbre nu
aux portes de l'éternité !
Je rêve d'un ciel au-delà de tout soleil et toute lune,
d'une heure inconnue,
d'une aumône sans honte,
d'un mot pas encore appris,
d'une maison de famille oubliée,
d'un chemin qui ne mènerait à aucune ville.

كَانَ الصَّبِيُّ يَعدُّو فِي الحَقْلِ
حِينَ تَوَقَّفَ فجَاءَةً
مُطَوَّقًا بِهَوَاءٍ مُلْتَهَبٍ
لَمْ يُدْرِكْ أَنَّهُ نَاعٍ
لأُزْمِنَةٍ رَهيبَةٍ .

L'enfant courait dans le jardin
quand d'un coup il s'arrêta
cerné par un air tout en feu,
sans savoir qu'il était l'annonce
de temps voués à la terreur.

قِيلَ فِي زَمَنِ آخَرَ
إِنَّ سُكُوتَ الْأَشْجَارِ وَالْبَحِيرَةِ
وَالصَّحْرَاءِ وَالنَّجُومِ
أَفْصَحُ مِنَ الْكَلَامِ
كَثِيراً مَا سَمِعْتُهَا
لَكِنِّي لَمْ أَنْتَبِهْ إِلَى صَمْتِهَا.

On a pu dire en un autre temps :
le silence de l'arbre et du lac,
du désert et de l'étoile
est plus limpide que toute parole.
Que de fois les ai-je entendus
sans prêter garde à leur silence !

تَكَلَّمَ شَاعِرٌ عَنِ الْمُتَنَزِّهِ الْمُوَحِّشِ
وَأَخْرُ عَنِ الْمِيدَانِ الْأَخْرَسِ
بَعْدَ ضَوْضَاءِ الْمِصَارِعِينَ وَالْوَحُوشِ
وَأَخْرُ عَنِ الْمَسَارِحِ الْقَدِيمَةِ وَأَحْجَارِهَا الرَّاقِدَةِ
وَلَكِنْ . . . أَيْنَ شَاعِرُ الْفِرَاقِ
الَّذِي يَتَسَلَّقُ قَلْبَ الصَّبِيِّ
أَمَامَ اغْتِيَالِ النُّجْمَةِ الْأُولَى؟

Un poète a parlé du parc déserté,
un autre de l'arène silencieuse
passé le vacarme des gladiateurs et des fauves,
un autre des théâtres antiques avec leurs pierres en-
dormies,
mais où le poète du vide
qui monte au cœur de l'enfant
devant l'assassinat de la première étoile ?

قَبْلَ وُلُوجِ المَرَسَى
حَطَّمَ سِنْدِبَادُ بَدَنَ السَّفِينَةِ!
مَخَافَةً مِنَ الشَّمْسِ الأَخِيرَةِ
وَالْحَنِينِ إِلَى البَحْرِ المُطَلَّقِ.

Sinbad a fracassé l'étrave de son navire
avant de toucher au port,
par crainte du dernier soleil
ou nostalgie de la mer absolue.

ذات يوم
اخترع العنكبوتُ النسجَ
والطيرُ التعشيشَ
والنمرُ القتلَ
والإنسانُ الاغتيالَ.

Un jour vint
où l'araignée apprit à tisser,
l'oiseau à bâtir un nid,
la panthère à tuer
et l'homme à assassiner.

ما زلتُ حاليماً
بقبةِ جسرٍ عظيمٍ
تؤدّي التحيّةَ على مرورِ الأرواحِ المطمئنّةِ
الواثقةِ مِنْ خلودِها .

J'ai toujours rêvé d'un immense pont
avec son arche unique
saluant au passage les âmes heureuses
sûres de leur éternité.

هناك بمُحاذاة البيت القديم
مَحَى الزمانُ
مرحلة الخريف المهدئة
هرعَ على الأنقاضِ
وعلى كينونة الروح والهواء.

Là-bas, près de la vieille maison,
le temps a effacé
le parcours rassurant de l'automne
et s'est rué sur les décombres
de tout ce qui composait l'âme et l'air.

إِلَى مَتَى تَجْرِي وَرَاءَ سَحَابَةٍ
تَلْهَثُ وَرَاءَ ظِلِّهَا
وَتُحَاذِي نَهْرًا نَسِيَهُ الْبَحْرُ؟
مَا الَّذِي تَرْتَجِيهِ مِنْ نَارٍ
تَحْرَقُ نَفْسَهَا؟
يَا جَسَدِي التَّعْبَانُ، يَا ضِنَايَ
لِمَاذَا تُرِيدُ هَجْرِي؟
لَيْتَكَ تُدْرِكُ مَاذَا يَنْتَظِرُكَ!

Vas-tu courir longtemps après un nuage
courant après son ombre,
ou tout au long d'un fleuve jusqu'à l'oubli
de la mer ?

Qu'attendre d'un feu
qui se dévore lui-même ?
Pauvre corps recru de fatigue
pourquoi vouloir me quitter ?
Si seulement tu savais ce qui t'attend !

في يومٍ جاء متأخراً
حقيقتي كانت هنا
في جسدي المكوّن
من ترابٍ وهواءٍ وماءٍ
أمّا النارُ التي تنقصُهُ
فهي لليومِ الأخيرِ.

Un jour trop tard venu,
ma vérité fut là,
en ce corps fait de terre, d'air et d'eau.
Il y manquait le feu,
qui sera pour le dernier jour.

أَعُدُّ، أَعُدُّ
خَلْفَ ظِلِّ الزَيْتُونَةِ الْهَارِبِ
أَعُدُّ، أَعُدُّ كَيْ لَا تَرَى
الْمَوْتَ لَكَ بِالْمُرْصَادِ
فِي وَجْهِ الْفَجْرِ الْقَادِمِ!

Cours, cours
après l'ombre fuyante de l'olivier,
cours, cours, pour ne pas voir
ta mort aux aguets
dans le visage de l'aube qui vient !

اختلط العالمُ

عالمي

خَلَطَ الشَّجَرَ وَالسَّمَاءَ وَالْمَاءَ وَالْبَشَرَ

فَتَحَوَّلَ إِلَى كَنْزٍ لَا يُمَكِّنُ الْوَصُولَ إِلَيْهِ

الآنَ بَلَغْتُ الْمَرْحَلَةَ الْأَخِيرَةَ

وَطُتْ ذِكْرِي التَّذَكُّرِ.

Le monde se brouille,
le mien,
brouillant arbre, ciel, eau et vivants,
tout cela maintenant trésor inaccessible,
me voici arrivé à la dernière étape,
je touche au souvenir du souvenir.

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي ذِكْرِي
لصَحْبَةِ الرِّبْعِ
وَلَا أَمَلَ يُورِقُ فِي دَاخِلِي
لِمَنَاشِدَةِ الرِّيحِ
بَعِيدٌ عَنِّي الْآنَ أَثْرُ النِّهْرِ النَّابِعِ مِنَ الْمَوْتِ
كَيْفَ وَصَلْتُ إِلَى الْبَلَدِ الْأَخِيرِ
بَلَدِ الْمِرَاةِ الْخَالِيَةِ
حَيْثُ لَا أَحَدَ سِوَايَ؟

Il ne me reste plus un seul souvenir
pour accompagner le printemps,
plus d'espoir qui renaisse en moi
pour appeler les vents,
loin de moi désormais toute trace du fleuve jailli
de la mort.

Comment suis-je arrivé à l'ultime pays,
le pays du miroir vide
où il n'est personne que moi ?

مع مرورِ الأيامِ، جاءَ يومٌ
سكَّتْ فيه الرِّيحُ
صعقَ البرقُ طائرَ السنونو
ظماً الينبوعُ
ونبتتْ جذورُ الشجرةِ
حيثُ مخازنُ الموتِ
فَتَحَوَّلَ عِطْرُ الزهورِ
سُمًّا في روحِ المولودِ الجديدِ
فنزلَ الظلامُ على الأنبياءِ.

Au fil de mes jours vint un jour
où le vent a fait silence,
l'éclair foudroyé l'hirondelle,
la source a soif,
l'arbre a poussé ses racines
jusqu'aux magasins de la mort,
le parfum des fleurs
s'est fait poison au cœur du nouveau-né :
ténèbres sur les apôtres !

في زمانِ الأزمنةِ
ثمّةَ قريةٍ خربةٍ
كانتْ خاليةً مِنَ الحياةِ
إلا مِنْ عجوزٍ وكلبها
تنتظرُ مُنذُ ولادتها
ليلةً بعدَ أخرى
مجيءَ كوكبها الموعودِ
فلَمَّا حانَ طُلُوعُهُ
صمّاءُ كانتِ العجوزُ
فلَمَ تسمعُ نباحَ رفيقها
فماتتْ كئِمنَ لنسيانِ حريةِ السمواتِ .

Il y avait eu, un temps des temps,
un village délabré,
sans âme qui vive
hormis une vieille et son chien.
Elle attendait nuit après nuit
l'astre promis à sa naissance,
mais au moment où il s'éleva,
sourde au cri de son compagnon,
elle mourut pour prix d'avoir oublié la liberté
des cieux.

أَيُّ وَجُودٍ أَكْثَرَ عَدَمًا
مِنْ أَيَّامٍ تَمْضِي عَلَى مَلِكٍ
يُحِيطُ بِهِ الْمَرْمَرُ
مِنَ الْبَلَاطِ حَتَّى الضَّرِيحِ؟

Quelle vie plus encombrée de vide
que ces jours passant sur un roi
cerné de marbre
du palais au mausolée ?

أَعْلَمُ
وَكَيْفَ لَا أَعْلَمُ
إِلَى أَيْنَ أَمْشِي الْآنَ.

Je sais

– comment faire autrement ? –
vers quoi je marche maintenant.

كَانَتْ نَجْمَةٌ
فِي سَمَاءٍ خَالِيَةٍ
كَانَتْ نَجْمَةٌ رَدَمَهَا الْهَلْعُ
فَانْفَلَقَتْ
لِمَاذَا يَا إِلَهِي خَلَقْتَ الْإِنْسَانَ
لِكَيْ يَغْتَالَ السَّمَاءَ؟

C'était une étoile
dans un ciel vide,
c'était une étoile brisée de terreur,
éclatée
Dis-moi, Seigneur, l'homme est-il né
pour assassiner le ciel ?

نمتُ وأفقتُ
وحلمتُ
وهلُ سيبقىُ حلماً
إذا كانَ بِحاجةٍ إلى النورِ؟

Je me suis endormi, réveillé,
j'ai rêvé.

Est-ce encore un rêve quand il a besoin du jour ?

ما كُلُّ هذا
سِوَى اللّٰخِلُوْدِ.

Qu'est-ce que tout cela
qui n'est pas éternité ?

إذا حلمت باكتشاف القوة الكاملة
فارصد ورقة الشجرة المبللة المتجعدة
التي انتزعتها الزوبعة
فطارث لتلتصق بالسياج
لتصد الرياح عن دخول البستان.

Si tu rêves de découvrir la force parfaite,
Tu n'as qu'à observer cette feuille trempée,
toute fripée,
arrachée par la bourrasque
et qui vole, et qui vient se plaquer contre la palissade
pour barrer au vent l'accès du jardin.

سَعَيْتُ وِرَاءَ كُلِّ وَعْدِ الْأَيَّامِ
حَلَمْتُ بِاِكْتِشَافِ السَّعَادَةِ حَدَّ الشَّبَعِ
أَمَلْتُ بِالْوَحْيِ فِي نِهَائِيهِ الطَّرِيقِ
وَهَا أَنَذَا الْيَوْمَ
كَبُومَةٍ عَمِيَاءَ أَمَامَ شَمْسِ الْمَوْتِ .

J'ai couru après toute promesse vivante,
rêvé de découvrir le bonheur jusqu'à satiété,
espéré la révélation au bout du chemin,
et me voici maintenant
comme chouette aveugle face au soleil de la mort.

يومَ عودةِ المغتربِ إلى قريتهِ
حالَ وصولِهِ، صادفَهُ شيخٌ
لم يتردّدَ بمعرفتِهِ، بأنَّهُ كانَ مُعلِّمَهُ في صباهِ
فألقيَ عليه السلامَ وسألهُ: أينَ تلاميذكُ؟
- تركتُ المهنةَ
- ولماذا؟
- نسيتُ قواعدَ تصريفِ الأفعالِ
ولمَ أَعُدُّ أَعرفُ مِنْها سِوَى صيغَةِ ماضيها.

Le jour où l'exilé retrouva son village,
à son arrivée même il rencontra un vieil homme
en qui il reconnut sans hesitation son instituteur
aux jours lointains de son enfance.

Il le salua et demanda : mais où sont tes élèves ?

- J'ai quitté le métier.

- Et pourquoi donc ?

- J'ai oublié les règles de la conjugaison

et ne connais plus les verbes qu'au passé.

ليهرب البدرُ
ولتضمحلَّ الشمسُ في أعماقِ السماءِ
الإشارةُ ها هنا :
فاستعدَّ لِحلِّ رموزِ
أبجديةِ العالمِ الحديثةِ .

La pleine lune enfuie
et le soleil dissous au plus profond des cieux,
le signe est là :
tiens-toi prêt à déchiffrer
le nouvel alphabet du monde.

انظُرْ يا جدِّي ، هذا الطير
لماذا يبقى دوماً على الأرضِ؟
- زعموا أنه في يوم ما
تَرَكَ سربَ إخوانه وسَعَى يبحثُ عن سعادَاتِ الجنوبِ
فطلعَ مباشرةً وعَبَرَ السحاب
- وبعد ذلك؟
- رجَعَ وهو أعمى
- لماذا؟
- أرادَ أن يَفْقَأَ عَيْنَ السماءِ.

Regarde, grand-père, cet oiseau :
pourquoi reste-t-il toujours là, sur le sol ?
- On dit que certain jour
il quitta ses frères en vol
vers les bonheurs du midi
pour s'élever droit à travers les nuages.
- Et après ?
- Il est revenue, aveugle.
- Et pourquoi ?
- Il avait voulu sonder le ciel.

قُلْ لي : لماذا تشبَّثَ بالماضي
ماضي يسخرُ من السراءِ والضراءِ
كأنك مجنونٌ متورِّطٌ في أحلامه؟
- نسيت الأهمَّ

الحلمُ يتركُ حرية الاختيارِ
وإذا اخترتَ منه الصفحاتِ المتوهجةَ
اكتشفتَ الجزيرةَ الآمنةَ، التي يتعدَّرُ بلوغها
من أعداءِ الأرضِ والأرواحِ
أعني التآكل!

Pourquoi, dites-moi, cet attachement au passé,
un passé qui se joue du meilleur et du pire ?
On dirait d'un fou empêtré dans ses rêves.
- Vous oubliez l'essentiel :
le rêve laisse libre choix
et si vous en reprenez les pages heureuses,
vous découvrirez l'île la plus sûre, inaccessible
à l'ennemi de toute terre, de toute âme,
et c'est ... l'érosion.

إلَيْكُمْ

Vers vous

في ذكرى ولدي الفقيـد

ذَهَبَ الابْنُ
إلى بلدِ الانتظارِ
فخرستِ الأرضُ فجأةً
اليأسُ غشيَ النهرَ، فيبسَ
وأنا بين الأنينِ والرجاءِ
لا تحزنْ يا وَلَدِي
لقد حانَ موعدُ الخلودِ.

En mémoire du fils mort

Le fils s'en est allé
au pays de l'attente
la terre s'est tue brusquement,
le désespoir a tari le fleuve,
et moi, je ne sais si je gémis ou espère.
Ne pleure pas, mon enfant :
l'éternité, c'est maintenant.

إلى البنت التي وجدت نفسها وحيدة بعد وفاة أخيها

حانَ الآنَ مجيءُ نهايةِ الطريقِ

وأنا متأسِّفٌ

على كتمانِ كلماتٍ كنتُ كتبتُها لك

كلماتٍ لم أتجرأَ على البوحِ بها

وهي :

أنتَ الشجرةُ المضيئةُ

طوالَ الطريقِ .

A la fille qui se retrouva seule après la mort du frère

Voici venue la fin du chemin,

et moi tout à mon regret

d'avoir tu des mots écrits pour toi,

des mots que je n'ai pas osé te dire,

et les voici :

tu as été l'arbre - étoile

tout au long du chemin.

إذا سقطت عينك على ورقة شجرة
ثملة، تتمايلُ نحوَ لهيبِ الخريفِ
كفَّ عن النظرِ
وأصغِ إليها!

Si ton œil se met à suivre une feuille
ivre, glissant vers les feux de l'automne,
cesse de regarder,
écoute - la !

هنا ، ينتهي الطريقُ
الزمنُ يَنثُرُ القماماتِ والكنوزَ
وأنا ، غاطسٌ في شركِ اللغةِ وفتنِها
وما زلتُ أحلمُ
بتلك التي تُخفي سِرَّها إلى الأبد.

Ici fini la route,
le temps semé de détritrus et de trésors,
et moi, plongé dans les pièges
et les séductions de la langue,
je n'ai pas cessé de rêver
à celle qui garderait pour toujours son secret.

كَانَتْ الْأَرْضُ
مُتَّهِيَةً لِاسْتِقْبَالِي
بَيْنَ الْجِبَالِ الْمُطْمَئِنَّةِ
وَأوراقِ الزيتونِ المتراقصةِ في رِيحِ الشِّمالِ
فجأةً تهاوَتِ العتمةُ
على صورةِ هذا الخلودِ.

C'était une terre
toute prête à m'accueillir
entre la montagne rassérénée
et les feuilles d'olivier dansant au vent du nord,
et brusquement les ténèbres s'abattirent
sur cette image d'éternité.

الريح

مِنَ الْغَرْبِ
جَاءْتُني الرِّيحُ بِالنَّدَى
مِنَ الشَّمَالِ
بصُورَةِ شِراعٍ
مِنَ الْجَنُوبِ
بِرائِحَةِ الزَّيتونِ
مِنَ الشَّرْقِ
بِالسَّنُونُو
هل أَهَدَّتْني الرِّيحُ السَّعَادَةَ
أَمْ خَطَفَتْها مِنِّي؟

Le vent vient m'offrir
de l'occident la rosée,
du nord l'image d'une voile,
du midi un parfum d'olive,
de l'orient une hirondelle...
m'offrir le bonheur
ou me l'enlever ?

قُلْ لِي يَا بُنَيَّ
إِلَى أَيْنَ يَعدُو كُلُّ هَؤُلَاءِ النَّاسِ
- لا أدري، ربّما نحوَ النجمةِ المُرتجاةِ
- وأنتَ يا بُنَيَّ؟
- أنا سائرٌ مَعَ نجمتي
نجمة مخصّصة لحياتي منذُ الأزل.

Dis-moi, petit :

tous ces gens-là, où courent-ils ?

- Je ne sais, peut-être vers l'étoile espérée.

- Et toi, petit ?

- Moi, je vais avec mon étoile,

une étoile dévouée depuis toujours à ma vie.

في زمانٍ خارجِ كلِّ الأزمنةِ
بعدَ نهايةِ كلِّ النهاياتِ
لَنْ تَسْتريحَ الشجرةُ
ولَنْ تَرْتعبَ أوراقُها .

Dans un temps dépassant toute escale,
après la fin de toute fin,
l'arbre ne dormira plus,
et la feuille n'aura plus peur.

في روضةِ الأشجارِ المنفيّةِ

خريطتي

خريطة بلدِ الطفولةِ

كانت مفككةً، ممزّقةً، ومهترئةً

وفي الأَمسِ

عادَ إليها تكوينُها من جديدٍ

بهذه الكلماتِ :

ما زلتُ أنتظركِ

للصلاةِ على الصمتِ .

Ma carte à moi,
la carte du pays de l'enfance,
désassemblée, déchirée, disloquée
au jardin des arbres exilés,
hier tout d'un coup
s'est recomposée
avec ces mots :
depuis toujours je t'attends
pour la prière au silence.

لَمَّا وَصَلَ الْعَجُوزُ إِلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ
رَأَى مَوْتَاهُ كُلَّهُمْ واقفين
كما كانوا يومَ ولادتهِ
في بيتِ العائلةِ
فقالوا: نحنُ هنا الآنَ
كَي نَعْطِيكَ الزُّهْرَةَ
الزُّهْرَةَ الْفَرِيدَةَ
زُهْرَةَ النِّعَمِ وَالرَّحْمَةِ.

Tout en haut de la montagne qu'il venait de gravir,
le vieil homme vit tous ses morts debout
comme ils l'étaient dans la maison familiale
au jour de sa naissance.
« Nous voilà maintenant, lui dirent-ils,
pour t'offrir la fleur,
la fleur unique,
la fleur de béatitude et miséricorde. »

سَأَلْجَأُ يَوْمًا
عِنْدَ النُّجْمَةِ المَجْهُولَةِ
المَطْمَئِنَّةِ، السَّاكِنَةِ
هَارِبًا مِنْ طَغْيَانِ الشَّمْسِ وَالبَشَرِ.

Un jour j'irai chercher refuge
à l'étoile inconnue,
sereine, silencieuse,
pour fuir la tyrannie du soleil et de l'homme.

لا عين ماءٍ سِوَى التي
شربتُ منها للمرة الأولى
لا تربة سِوَى التي
تلدُّك يوماً بعدَ يومٍ
لا نار سِوَى التي
نسيتهَا لتحنَّ دوماً إليها .

Pas de source, hors celle
où tu as bu la première fois,
pas de terre, hors celle
qui t'enfante jour après jour,
pas de flamme, hors celle
oubliée pour en rêver toujours.

سَعَيْتُ فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ
أَبْحَثُ عَنْ كَلِمَةٍ
وَلَمْ أَجِدْ
غَيْرَ اسْمِكَ.

J'ai couru de par le monde
après le monde
et n'ai trouvé
que ton nom.

حِينَ وَطِئْتُ
نَهَايَةَ الطَّرِيقِ
وَدَفَعْتُ ثَمَنَ الْعُبُورِ الْأَخِيرِ
لَمْ يَبْقَ لِي
لَا زَمَانٌ وَلَا فِضَاءٌ
سِوَى حَاجَتِي إِلَيْكَ :

Une fois atteint
le bout du chemin
et payé le dernier péage,
que me restera-t-il
de temps et d'espace,
hors ce besoin que j'ai de toi ?

كنتِ نهري
النهرَ المتكاملَ الذي يعبرُ بوادي الجنونِ
سافرتُ بفضلِكَ
إلى قعرِ الأرضِ
وكنوزِها المضيئةِ
حملتني بينَ ذراعيك
فوقَ ثلوجِ مجهولةِ
فورثتُ منك اكتشافَ
ما لن يُباحَ بهِ أبداً.

Tu as été mon fleuve
fleuve parfait à travers les steppes de la folie,
j'ai grâce à toi voyagé
jusqu'au fin fond de la terre et de ses trésors
illuminés,
tu m'as porté dans tes bras
par-dessus des nuages inconnus,
tu m'as légué la découverte
du non-dit pour l'éternité.

عندما تصبحُ كلُّ المنابعِ نقيَّةً
والأشجارُ رؤوفةً
سأنصتُ إلى رُحى السماء
تجرشُ ببطءٍ بطيءٍ
ما يتبقي مِنِّي
سوى استغاثتي بكِ .

Quand toute source deviendra pure,
et tout arbre compatissant,
je prêterai l'oreille aux meules célestes
broyant à petits coups
ce qui reste de moi,
hors ce cri vers toi : « sauve-moi ! »

في ذكرى رينيه شار

لو كان للحُبِّ دلالَةٌ ما،
لَمَنَعَ النسيمَ عن كسرِ جناحِ الطيرِ
وحملَهُ إلى بلدٍ
لا ينتظر
سوى أن يُنظَرَ إليه.

En mémoire de René Char

Si l'amour avait quelque sens,
il aurait empêché la brise de casser l'aile de l'oiseau,
mais l'aurait emporté au pays
qui ne demande rien
que d'être regardé.

امتطيتُ أنهارَ التيهِ والسأمِ
فرسوتُ في مرفأِ الهجرةِ المطلقةِ
حيثُ استقبلني
مَلَكُ الممالكِ المنسيَّةِ .

J'ai chevauché des fleuves de folie et de lassitude
pour aborder au port de l'exil absolu,
là où m'attendait
l'ange des royaumes oubliés.

أنا أحتضرُ حيناً إليك
ولكن...
ليسَ الذنبُ ذنبكِ .

Je suis mourant, mourant de toi,
mais à qui la faute ?
Pas à toi.

تَصَوَّرُ دَمْعَةً فِي جَرِيَانِ النَّهْرِ
دَمْعَةَ الْمَلِكِ عَلَى الْكَنْزِ الْمُنْسِيِّ
دَمْعَةَ الْمَلِكِ عَلَى فَنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ
تَخَيَّلُ رِيحاً لَا تَتْرُكُ أَثْرًا فَوْقَ الْأَعْشَابِ وَلَا عَلَى سَطْحِ
الْبَحْرِ
تَصَوَّرُ، تَخَيَّلُ، وَلَا تَنْسَ
الْمَخْفِيَّ وَرَاءَ كُلِّ صُورَةٍ وَخَيَالٍ!

Imagine une larme emportée par le fleuve,
larme du roi sur le trésor oublié,
larme de l'ange sur la mort des prophètes,
rêve un vent sans trace sur l'herbe ou la mer,
imagine, rêve, mais n'oublie pas
tout ce que cache une image ou un rêve.

يا غباءَ مَنْ يدَّعي
بكمالِ عِلْمِ أسرارِ الكونِ
متفصّحاً من موضوعٍ إلى آخر
ليجدَ نَفْسَهُ عاجزاً عنْ فَهْمِ خفقاتِ قلبٍ في قلبِ الصخرةِ
ودمعةِ حُبِّ محتضِرٍ على الرمالِ
ولحنٍ يُسمَعُ من وراءِ دويِّ الشلالِ
وكلِّ فرصِ الاندهاشِ عندَ المؤمنِ!

Pauvre sot qui se fait fort
de connaître à fond les secrets du monde,
pérorant d'un sujet à l'autre,
pour se retrouver impuissant à découvrir
un cœur battant au creux de la roche,
la larme d'un amour mourant sur le sable,
une mélodie par-delà le fracas de la cascade,
toute occasion de s'émerveiller, pour un croyant...

سَأَلَ الشَّيْخُ :
مِنْ أَيْنَ أَنْتَ يَا وَلَدِي؟
فَأَجَابَ : لَا أَدْرِي
غَيْرَ أَنِّي جِئْتُكَ
لَأُنَبِّئَكَ بِاقْتِرَابِ الْمَوْتِ
وَلَكِنْ لَا تَشْغَلْ بِالْكَ بِهٍ :
فَأَنَا الْآنَ هُنَا !

Le vieil homme demanda :

« D'où viens-tu, mon enfant ? »

Et l'enfant répondit :

« Tout ce que je sais,

c'est que je suis venu t'annoncer la mort prochaine,

mais ne t'inquiète pas :

maintenant, je suis là. »

كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيَّ
أَنْ أَتَشَبَّثَ بِالْكِتَابَةِ
كِتَابًا يَلِي كِتَابًا
وَلَكِنْ، لَمْ أَكْتُبْ مَا يَصِفُو بِهِ قَلْبِي
حَزْمَةً مَا تَبَادَلْنَاهُ بِالْكِتَابَةِ
مَنْقُوشٍ عَلَى الْحَائِطِ :
هَنَا، هَنَا فَقَطْ
كَتَبْتَنِي
وَكَتَبْتِكَ .

Mon destin était là,
dans cette obstination à écrire,
De livre en livre,
mais je n'ai rien écrit qui égale en mon cœur
la gerbe de nos lettres échangées
et, gravée au mur, cette inscription :
ici et ici seulement
tu m'as écrit,
je t'ai écrite.

استقبلتني
في نعومة السماء
سحابة
سحابة وحيدة
عرفت أنها سحابتي
جاءتني
بعد كل هذا التشرّد
في جنوب الحياة الأولى
والكلمات المنبعثة.

Vint à ma rencontre,
sur le lissé du ciel,
un nuage,
tout seul,
et je sus qu'il était mon nuage,
venu m'apporter,
après tant et tant d'errances,
le midi de la vie première
et des mots ressuscités.

يا بلدي
لا تتغير
يا بلدي، يا بلد الصبا
لا تستسلم
لا تخضع لدعاة التحديث
أضرعُ إليك، يا بلدي
لا تمث
وإلا فسأنطفئ قبل موتي!

Ô pays,
reste ainsi,
pays, pays de mon enfance,
ne capitule pas,
ne cède pas aux apôtres du moderne,
je t'en supplie, ô mon pays,
ne meurs pas,
ou je vais mourir avant ma mort.

يلهُتُ الشّتاءُ لِيُفسِحَ مَجالاً
لِشّتاءٍ آخَرَ
وما زِلْتُ أُمشي بِرِفقتِكَ
وَبِرِفقةِ الأَرْضِ وَالهُواءِ.

L'hiver s'épuise à ouvrir la place
à un autre hiver
et moi, je vais à tes côtés, encore,
en compagnie de la terre et de l'air.

في الأزمنة اليونانية القديمة
صاح صوتٌ في السماءِ
عوضاً عن اليمين
أعدُّكم بالخلودِ في ذاكرةِ البَشْرِ
فما جوابُكم؟
فقالَ الزوجانَ الهَرمانِ :
«نُقَسِّمُ بأننا سنعيشُ حياتنا كلَّها
تحتَ شعارِ الاثنينِ في واحد!»

Aux temps de la Grèce antique
une voix cria dans le ciel :
«Je vous promets l'éternité dans la mémoire
des hommes
en échange d'un serment : à vous la réponse. »
Et le vieux couple dit :
«nous jurons de toujours vivre
sous le signe de deux en un. »

يا بلدي
حانَ وقتُ نسيانِ
المناظرِ، والروائحِ، والأصواتِ
ها أنذا جاهزٌ الآنَ
للأنصهارِ في كيانك
يا بلدي .

Ô pays,
voici venu l'instant,
l'oubli des paysages, des parfums et des bruits,
il faut se préparer à se fondre
au plus profond de toi,
ô mon pays !

الفهرس

- إشارة ٥
تقديم/ كاظم جهاد ٧

فِي زُبُقِ اللَّيَالِي

Au mercure des nuits

- ١٥ تَمَّتْ بِلَادُنَا وَأَنْتَ أَفْلٌ
١٦ بَيْنَا كَانَ الْعُصْفُورُ مَا شِيَاءَ عَلَى الْمِيَاهِ الْمُتَجَلِّدَةِ
١٧ تَرَكْتُكَ وَاطِئَةً عُشْبَ عَاصِمَةٍ مُقْفِرَةٌ
١٨ كُنْتُ هَذَا السَّهْلَ بِمِيَاهِهِ الْمُتَبَايِئَةِ
١٩ يُطْبِقُ اللَّيْلُ، يَا بِنْتِي
٢١ الْقُبْلَةَ
٢٤ أُوْدِعْكَ ضَنْى الْأُوْدِيَةِ الْغَامِضَةَ
٢٥ أَنْ فِي شَعْرِكَ مَوْعِدُ الرِّيَّاحِ الْيَانِعَةِ
٢٦ تَذَكَرًا لِغَيُومِ أَبُوْلِينِيرِ
٢٩ أَنْتِ

- ٣٠ تذكراً للشاعر رينيه شار
- ٣١ مدينة قرمزية مُدججة بالرياح
- ٣٣ اسْمَعُوا، أَيُّهَا الْيَتَامَى!
- ٣٥ ذَهَبَتْ . . . يَمُوتُ كُلُّ مَوْجٍ وَمَرْمَرٍ
- ٣٦ مَا لَ الْهَلَالُ إِلَى شَعْرِكَ، يَا فَتَاةَ الْعَالَمِ
- ٣٧ كَانَ سِنْدْبَادُ الْحَمَّالُ يَتَكَلَّمُ عَنِ جَزَائِرِي
- ٣٨ سَيْلٌ، يَا غُبَارُ، فِي شَوَارِعِ الْمَمْسُوحِ
- ٣٩ يَا بُنَيَّ أَنْظِرْ إِلَى هَذَا الْحِصَانِ الْمُرْقِلِ
- ٤٠ فِي مَعَادِنِي يَسْتَجِيرُ الْمَرَامُ
- ٤١ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي النَّائِيَةِ
- ٤٢ رَاجِعاً مِنْ أَرْضِي اللَّمَاعَةِ
- ٤٣ فِي الْمَسَاءِ
- ٤٤ حَدَدْتُ كُلَّ مَرَحَلَةٍ
- ٤٥ تَسْأَلِنِي عَنْ رَزَانَةِ الْعُيُونِ

الطفل والوعد

L'enfant et la promesse

- ٥٣ **ELLE** هي
- ٥٥ يُطَبِّقُ اللَّيْلُ، يَا أَبْنَتِي
- ٥٦ أُوَدِّعُكَ ضَنْى الأُوْدِيَةِ الْغَامِضَةِ

- ٥٧ كُنْتُ هَذَا السَّهْلِ بِمِيَاهِهِ الْمُتَبَاظِئَةَ
- ٥٨ مَالَ الْهَيْلَالُ إِلَى شَعْرِكَ، يَا فَتَاةَ الْعَالَمِ
- ٥٩ أَنْ فِي شَعْرِكَ مَوْعِدُ الرِّيحِ الْيَانِعَةِ
- ٦٠ إِنَّ فِي قُطْبِ حَيَاتِي شَجْرَةً
- ٦٢ فِي ذِكْرِي رَيْنِهِ شَارٍ
- ٦٣ اسْمَعُوا، أَيُّهَا الْيَتَامَى!
- ٦٤ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي النَّائِيَةِ
- ٦٥ إِلَى كَلُودِينَ وَجَمَالَ الدِّينِ بْنِ شَيْخٍ
- ٦٦ تَسْأَلِينَ عَنْ رَزَانَةِ الْعُيُونِ
- ٦٧ كَانَتْ بَقِيَّةً مِنَ السَّمَاءِ فِي عَيْنَيْكَ وَعَيْنَاكَ فِي السَّمَاءِ
- ٦٨ لِمَ اخْتَلَسَ أَحَادِيثَ جِنَانِ الْبَلَى؟
- ٦٩ فَرَضْتَ عَلَيَّ أَقْتِبَاسَ الْأَزْهَارِ
- ٧٠ يَطْوُلُ طَرِيقُنَا وَأَنَا لَأَدْعُوكِ
- ٧١ دَفَنْتِ الثَّلُوجُ الطَّلَاسِمَ
- ٧٢ هَذِهِ الشَّجْرَةُ الَّتِي كَانَتْ قَبْلِي
- ٧٤ لِمَ ذَا الْحِزْنُ وَقَدْ أَفْتَنِينَا
- ٧٥ حَدَدْتُ كُلَّ مَرَحَلَةٍ
- ٧٧ هُوَ LUI
- ٧٩ تَمَّتْ بِلَادُنَا وَأَنْتَ آفِلٌ

- ٨٠ تَرَكَتْكَ وَاطِئًا عُشْبَ عَاصِمَةٍ مُقْفِرَةٍ
- ٨١ بَيْنَا كَانَ الْعُصْفُورُ مَاشِيًا عَلَى الْمِيَاهِ الْمُتَجَلِّدَةِ
- ٨٢ فِي مَعَادِنِي يَسْتَجِيرُ الْمَرَامُ
- ٨٤ كَانَ الرَّجُلُ الشَّائِخُ
- ٨٥ كَانَ سِنْدِبَادُ الْحَمَّالُ يَتَكَلَّمُ عَنْ جَزَائِرِي
- ٨٦ كُلَّمَا ظَمِي النَّهْرُ وَرَجَعَتْ
- ٨٧ أَنَا الْآنَ طَارِقُ
- ٨٨ ذَهَبَتْ . . . يَمُوتُ كُلُّ مَوْجٍ وَمَرْمَرٍ
- ٩٠ يَا غَائِبِي
- ٩٢ يَا بُنَيَّ أَنْظِرْ إِلَى هَذَا الْحِصَانِ
- ٩٣ يُسَدُّ السَّتَارَ عَلَى مَسْرَحِ غِيَابِكَ
- ٩٤ لَمَّا أَتَى زَمَنُ بَعْمَالِ الشُّتَاءِ
- ٩٥ إِلَى جَرِيرٍ وَإِلَى لُوكِ شَامْبُو
- ٩٦ جَاءَ مَوْسِمُ النَّيْرَانِ
- ٩٧ إِلَى كَلُودِ إِسْتِيَانِ
- ٩٨ إِلَى جَاكَلِينِ دُو رُومِي
- ٩٩ عِنْدَمَا شَكَّتُ فِي بَقَائِي وَبَقَائِكَ
- ١٠٠ يَا عَهْدَ الظُّلْمَةِ الْمُتَنْظِرَةِ

وداع

Pour un adieu

- ١٠٣ فاضت من ذاكرتنا
- ١٠٤ تنقضي الكلمات، يا صديقي
- ١٠٥ خضراء كانت الأحلام
- ١٠٦ في بلاد الأندلس
- ١٠٧ دعا الصديق
- ١٠٨ كيف يكون الصباح المجرد من الخشية
- ١٠٩ أهاب دسائس النخلة
- ١١٠ من هو الذي يجرؤ على الادعاء
- ١١١ لم تعد الشمس والرياح قديره
- ١١٢ بين مدارج الجبال
- ١١٣ ولدنا من بلد آمن
- ١١٤ جاء وقت الصراط
- ١١٥ عودي، عودي يا كلمتي
- ١١٦ تسج الشجرة أحلامها
- ١١٧ أظفنت البراءة
- ١١٨ صرنا أشباحاً لا يرانا أحد
- ١١٩ في ذكرى المتني
- ١٢٠ ثقيلة هي الخطوة

- إِلَى أَيْنَ تُؤَلِّي الغَيْمَةَ بِوَجْهِهَا ١٢١
- يَوْمًا مَا سَوْفَ تَأْبَى السَّمْسُ ١٢٢
- ١٢٣ **Pour un adieu** وداع
- ١٢٥ البحرُ . . . البحرُ الوحيدُ . . .
- ١٢٦ فِي كُلِّ مَسَامَاتِ بَدَنِي تَسْكُنُ الأَرْضُ
- ١٢٧ اخْتَشَدَ الشَّجَرُ عَلَى قِمَةِ الرِّيحِ
- ١٢٨ غَرَسْتُ طَرِيقِي فِي كَرَمٍ
- ١٢٩ كَانَ العَجُوزُ يَمْشِي عَلَى طَرِيقِ الجَبَلِ
- ١٣٠ خَزِيٌّ مُتَأَخَّرٌ
- ١٣١ تَنَازَلَتِ الشَّمُولُ عَن قَوَاهَا
- ١٣٢ المَزْرَعَةُ المُهْمَلَةُ
- ١٣٣ فِي الغَابَةِ عِنْدَ الغَدِيرِ
- ١٣٤ جَاءَ النَّبِيُّ مُبَشِّرًا
- ١٣٥ كَلَّمَا أَحَسَّتِ الأشْجَارُ
- ١٣٦ فِي اللَّيْلِ أَمَّ فِي النَّهَارِ
- ١٣٧ فِي البَدءِ كَانَتِ الأَزْمِنَةُ يَقْظَةً
- ١٣٨ تَمُوتُ الكَمَنجَاتُ تَحْتَ سِهَامِ النُّجُومِ
- ١٣٩ إِذَا اشْتَدَّ سَيْلُ الينابيعِ
- ١٤٠ أَحْبِرْنِي يَا بَلَدِي

- ١٤١ تَرَكْتُ بَلَدِي
- ١٤٣ قِفْ وَانْظُرْ إِلَى الشِّتَاءِ !
- ١٤٥ اسْتَدْعَيْنَا الْغَائِبِينَ بَعِيداً عَنْ بَسَاتِينِ الْيَقِينِ
- ١٤٧ فِي سَاعَةِ التَّأْجِيلِ الْأَخِيرَةِ

إلى أين؟

Vers où ?

- ١٥٥ حِينَ انْفِلاقِ الْكُونِ
- ١٥٦ الْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَالسَّمَاءُ وَالشَّجَرُ
- ١٥٧ أَعْوُدُ بِشَجَرَةٍ عَارِيَةٍ
- ١٥٨ كَانَ الصَّبِيُّ يَعْدُو فِي الْحَقْلِ
- ١٥٩ قِيلَ فِي زَمَنِ آخَرَ
- ١٦٠ تَكَلَّمَ شَاعِرٌ عَنِ الْمُتَتَرِّهِ الْمُوَجِّشِ
- ١٦١ قَبْلَ وُلُوجِ الْمَرَسَى
- ١٦٢ ذَاتَ يَوْمٍ
- ١٦٣ مَا زِلْتُ حَالِماً
- ١٦٤ هُنَاكَ بِمُحَاذَاةِ الْبَيْتِ الْقَدِيمِ
- ١٦٥ إِلَى مَتَى تَجْرِي وَرَاءَ سَحَابَةٍ
- ١٦٦ فِي يَوْمٍ جَاءَ مَتَأَخِراً
- ١٦٧ أَعْدُ، أَعْدُ

- ١٦٨ اختلط العالمُ
- ١٦٩ لَمْ يَبْقَ عِنْدِي ذِكْرِي
- ١٧٠ مع مرورِ الأيامِ، جاءَ يومٌ
- ١٧١ في زمانِ الأزمنةِ
- ١٧٢ أيُّ وجودٍ أكثرَ عدماً
- ١٧٣ أَغْلَمُ
- ١٧٤ كَانَتْ نَجْمَةً
- ١٧٥ نَمْتُ وَأَفْقْتُ
- ١٧٦ ما كُلُّ هذا
- ١٧٧ إذا حلمتَ باكتشافِ القوةِ الكاملةِ
- ١٧٨ سَعَيْتُ وَرَاءَ كُلِّ وَعُودِ الْأَيَّامِ
- ١٧٩ يَوْمَ عَوْدَةِ الْمَغْتَرِبِ إِلَى قَرِيَّتِهِ
- ١٨٠ لِيَهْرَبَ الْبَدْرُ
- ١٨١ انظُرْ يَا جَدِّي، هَذَا الطيرِ
- ١٨٢ قُلْ لِي: لِمَاذَا تَتَشَبَّثُ بِالْمَاضِي
- ١٨٣ إليكم Vers vous
- ١٨٥ في ذكرى ولدي الفقيد
- ١٨٦ إلى البنت التي وجدت نفسها وحيدة بعد وفاة أخيها ..
- ١٨٧ إذا سقطت عينك على ورقة شجرة

- ١٨٨ هنا، ينتهي الطريقُ
- ١٨٩ كَانَتْ الأَرْضُ
- ١٩٠ الريح
- ١٩١ قُلْ لي يا بُنَيَّ
- ١٩٢ في زمانٍ خارجِ كلِّ الأزمنةِ
- ١٩٣ في روضةِ الأشجارِ المنفِيَّةِ
- ١٩٤ لَمَّا وَصَلَ العَجوزُ إلى قِمةِ الجبلِ
- ١٩٥ سألجأُ يوماً
- ١٩٦ لا عين ماءٍ سِوى التي
- ١٩٧ سَعِيْتُ في أنحاءِ العالمِ
- ١٩٨ حينَ وطئتُ
- ١٩٩ كنتِ نهرِي
- ٢٠٠ عندما تصبُحُ كلُّ المنابعِ نقيَّةً
- ٢٠١ في ذكرى رينيه شار
- ٢٠٢ امتطيتُ أنهارَ التيهِ والسَّامِ
- ٢٠٣ أنا أحتضرُ حيناً إليكِ
- ٢٠٤ تصوَّرتُ دمعَةً في جريانِ النهرِ
- ٢٠٥ يا غباءَ مَنْ يدَّعي
- ٢٠٦ سألَ الشيخُ
- ٢٠٧ كانَ مكتوباً عليَّ

- ٢٠٨ استقبلتني
٢٠٩ يا بلدي لا تتغير
٢١٠ يلهتُ الشتاء ليفسح مجالاً
٢١١ في الأزمنة اليونانية القديمة
٢١٢ يا بلدي

هذا الكتاب

في الأزمنة اليونانية القديمة
صاح صوتٌ في السماء
عوضاً عن اليمين
أعدُّكم بالخلود في ذاكرة البشر
فما جوابكم؟
قال الزوجان الهرمان:
«نُتَمِّمُ بِأَنَا سَعِيشُ حَيَاتِنَا كُلَّهَا
تحت شعارِ الاثنين في واحد!»

